

الأنظمة الوضعية لم تقدم
لل بشرية إلا الدمار الذي
ينزاد يوماً بعد يوم... هذا
النظام العالمي يمر البشرية
كلها نحو الهاوية... وسيأتي
اليوم الذي تشعر فيه
البشرية أن لا ملجأ لها
إلا الإمام المهدي عليه السلام

لخافوا الغيبية

الشهيد المقدس
أية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي
ترجمته: د. رجاء

نشر وتحقيق
مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

لماذا الغيبة؟

الشهيد المقدس آية الله
السيد محمد رضا الشيرازي
(أعلى الله درجاته)

نشر وتحقيق
مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

مكتبة
يوسف الرميض
لنشر وترويج الكتب
بكافة مجالاتها

دار الأثر
بيروت - لبنان

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الصراع الدائر بين الخير والشر، وحالة الاستئثار المطلق بالغنائم والحصول على النفوذ والمال والسلطة بأي طريقة كانت، أدى إلى سقوط الكثير من الضعفاء ضحايا للصراعات والمعارك المستعرة على طول التاريخ، وقد فاض العالم بأعاصير الطغيان والاستبداد والقمع والتمييز والتكيل والعنصرية والإبادة الجماعية العرقية والطائفية على يد أنظمة متسلطة حكمت بالحديد والنار.

من هنا كانت الحاجة حتمية للمنقذ لتحقيق أحلام البشرية في الحياة الكريمة، لذا شكل انتظار ظهور الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أملاً راسخاً وأبدياً في الخلاص من ربقة الظلم والطغيان.

لماذا الغيبة ؟

إن وراء غيبة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) تكمن أسباب عديدة تتوزع على محاور كثيرة يفصلها لنا هذا الكتاب النفيس (لماذا الغيبة؟) الذي يحمل بين دفتيه مجموعة من المحاضرات القيمة للفقيه المقدس آية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته).

إن هذا الكتاب يحاول أن يبين القيم الكبرى التي أفرزتها ولا تزال غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) عبر أسانيد عقلية وبرهانية تؤكد الحقائق الدينية والتربوية الكبيرة للغيبة وبشكل هادئ بعيداً عن القطع بالنتائج المسبقة.

إن الأفكار المطروحة في هذا الكتاب تتميز بالجدية التامة في التعامل مع الفكر العقائدي ونشره وترسيخه في عموم شرائح وطبقات المجتمع الإسلامي ، عبر رؤية ثابتة للأهمية القصوى التي تنطوي عليها غيبة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من جوانبها المتعددة ، وفق رؤى تواكب أهدافها كافة ، وقد سعى الفقيه المقدس في هذا الكتاب لاستكشاف أسباب ظاهرة الغيبة حتى نكون على إطلاع بكل ما يتعلق بغيبة الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من جوانب متعددة يمكن أن نوظفها لصالحنا في الحياة.

المقدمة

ومن أسباب الغيبة هو جانب الابتلاء والاختبار الإلهي للإنسان، فالغيبة كما يرى الفقيه الشيرازي هي نوع من أنواع الاختبار والابتلاء الإلهي الذي يقود نحو بناء الأمة بناءً روحياً ونفسياً وحضارياً من أجل التحضير والاستعداد لظهور الإمام الحجة المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) كما حال الأمم الناهضة التي تحمل رسالة التغيير والإصلاح والإنقاذ.

فالغيبة كما يقول الفقيه المقدس الشيرازي لم تقتصر على إمام زماننا المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) بل هي شملت قبله عدداً من الأنبياء العظام (عليهم السلام)، مثل نبي الله موسى عليه السلام الذي غاب أربعين ليلة، ونبي الله عيسى عليه السلام الذي غاب حوالي ألفي عام، والنبي ذو النون عليه السلام الذي غاب أربعين يوماً عن قومه، وكذلك أهل الكهف الذين غابوا ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً، فهذه التضمينات التاريخية تُعد دلائل قاطعة على تكرار ظاهرة الغيبة في التاريخ، وهذا يدل على أهميتها حيث تمثل شكلاً من أشكال التمحيص والابتلاء الإلهي للعباد والأمم.

إن الغيبة تُعدّ من العوامل والأسباب التي تهيئ الأجواء العامة لنجاح الحركة الإيمانية المتطورة، كما أنها تُسهم في تهيئة

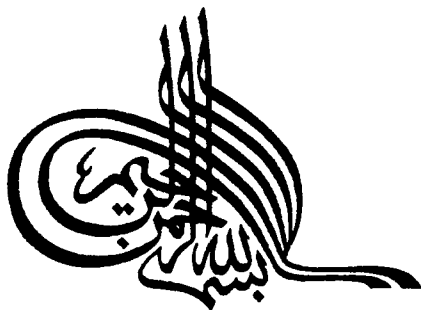
لماذا الغيبة ؟

الرجال الأشداء القادرين على نشر وترسيخ الحركة الإصلاحية، كما إنها تمثل نوعاً من أنواع التربية الإلهية لبني البشر، وهم يحثون الخطى ويكدحون في دنياهم وصولاً إلى ربهم بسرائر نقيه وقلوب سليمة تضعهم في المقامات العليا.

وأخيراً يمكن للقارئ أن يميز الجهد الكبير الذي بذله سماحة الفقيه الشيرازي ^{مدته} في عرضه العميق الاستدلالي للمفاهيم وبلغة هادئة وأسلوب معاصر رائع يجيب فيه بشكل متين ومتماسك على مختلف الإشكالات، وفي أجوبة متمازجة بين العقل والحديث الشريف، وبين التراث والحداثة، وبين الأصالة والمعاصرة.

ومن الله تعالى الرفعة والتوفيق.

مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد
وآله الطيبين الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى
يوم الدين .

الأسباب الكامنة وراء غيبة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام

الغيبة ظاهرة عامة

يدور موضوعنا حول إمام زماننا
وولي أمرنا الحجة المهدي المنتظر (عجل
الله تعالى فرجه)، وهو يتعلق بالسبب
الكامن وراء غيبته، هذه الغيبة التي
يعدّها البعض تحدياً كبيراً للقائلين
بإمامة وبوجود الإمام المهدي عليه السلام،
فلماذا كانت هذه الغيبة المحيرة كما
يقول هؤلاء؟

بدايةً ينبغي أن نعرف أن الغيبة
ظاهرة عامة في حياة الأنبياء والأولياء،
وهي ليست حالة استثنائية تفرّد بها
الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) حيث

١

هناك حكمة كامنة

وراء الغيبة لا نعلمها

ولا يُشترط أن نعلمها

ربما تظهر لنا في عهد

الظهور

الفقيه الشيرازي

يشير القرآن الكريم في مواقع متعددة إلى ظاهرة الغيبة في حياة الأنبياء والأولياء، فلعل الإنسان إذا قرأ القرآن الكريم بهذا المنظار يجد هنالك إشارات وتلميحات كثيرة في مواقع متعددة من القرآن الكريم تشير إلى فكرة وشؤون الإمام المنتظر.

فبين لنا القرآن الكريم أن هناك غيبة لنبي الله موسى بن عمران عليه السلام، كما تقول الآية الكريمة: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)، إذن فقد غاب موسى بن عمران عليه السلام عن قومه أربعين يوماً وهو نبيٌّ من الأنبياء العظام، حتى أنه لم يصطحب معه أخاه هارون عليه السلام في هذه الغيبة، فكان وحيداً كما يبدو في هذه الغيبة القصيرة. ويثبت القرآن الكريم غيبةً أخرى، فإذا كانت غيبة موسى عليه السلام قصيرة، فهناك غيبةً أخرى طويلة في القرآن الكريم، فقد غاب نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام عن قومه بل غاب عن البشرية كلها، فقد مرَّ على غيبة عيسى بن مريم عليه السلام حوالي ألفي عام .. وجاء في القرآن الكريم:

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾^(٢)، وجاء في آية

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٢) سورة النساء: ١٥٧.

أخرى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(١)، ولا يزال عيسى بن مريم عليه السلام يعيش حالة الغيبة إلى الآن^(٢).

(١) سورة النساء: ١٥٨.

(٢) نزول عيسى عليه السلام عند ظهر الإمام المهدي عليه السلام ثم صلاته خلفه، دليل على بقائه حياً إلى ظهور الإمام المهدي عليه السلام، وهذه جملة من المصادر من كتب العامة التي تدل على ذلك منها: ما رواه البخاري في صحيحه: ج ٤ ص ١٤٣ كتاب بدء الخلق ومسلم في صحيحه: ج ١ ص ٩٤، وابن حبان في صحيحه: ج ١٥ ص ٢١٣ عن أبي هريرة أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذ نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)، وروى مسلم في صحيحه عن جابر أنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال ﷺ: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمه الله هذه الأمة)، وروى أحمد في مسنده: ج ٣ ص ٣٦٨ عن جابر: (وإذا هم بعيسى فيقال: تقدم يا روح الله فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم) وقال عنه البيهقي في مجمع الزوائد رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح، وروى ابن ماجه عن أبي أمامة في سننه: ج ٢ ص ١٣٦١: (وكلهم أي المسلمون بيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى فرجع الإمام ينكس ليتقدم عيسى فيقف عيسى بين كتفيه ثم يقول تقدم فإنها لك أقيمت)، وفي الجامع الصغير: ج ٢ ص ٥٤٦ ح ٨٢٦٢ وكنز العمال: ج ١٤ ص ٢٦٦: (منا: الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه) وروى عبد الرزاق في المصنف: ج ١١ ص ٣٩٩ ح ٢٠٨٣٨: (بإسناده عن ابن سيرين قال: ينزل ابن مريم .. فيقولون له: تقدم فيقول: بل يصلي بكم إمامكم انتم أمراء بعضكم على بعض) وفي

كذلك يثبت القرآن الكريم غيبة نبي الله يونس بن متى عليه السلام: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾^(١)، فكم يوماً بقي في بطن الحوت؟ يقول بعض العلماء: بقي أربعين يوماً^(٢)، ومع أنه نبي مبعوث لكنه عاش أربعين يوماً في بطن الحوت، فهل قدح ذلك في نبوته؟ وهل انتفت عنه صفة النبوة بسبب هذه الغيبة؟ كلا..

ويثبت القرآن الكريم غيبة أهل الكهف: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِئَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٣)، فقد غابوا ثلاثمائة عام حسب السنوات الشمسية وثلاثمائة وتسعة أعوام حسب السنين القمرية، وكان هنالك كلام - كما أتذكر - هل يوجد أفراد بهذا الشكل أم

ح ٢٠٨٣٩: (عن معمر كان ابن سيرين يرى: انه المهدي الذي يصلي وراءه عيسى)، وروى ابن أبي شيبة في المصنف ج ٨ ص ٦٩ ح ١٩٥: عن ابن سيرين أيضاً: قال: (المهدي من هذه الأمة وهو الذي يؤم عيسى ابن مريم)، ورواه نعيم بن حماد في كتابه الفتن: ص ٢٣٠ وروى في نفس الصفحة عن عبد الله بن عمر: (المهدي الذي ينزل عليه عيسى بن مريم ويصلي خلفه عيسى).

(١) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٢) انظر (التبيان): ج ٨ ص ٥٣٠ سورة الأنبياء، وهو منقول عن عبد الله بن مسعود والسدي ومقاتل بن سليمان والكلبي، وغيرهم.

(٣) سورة الكهف: ٢٥.

لا؟ لأنه هناك أجيال عديدة تبدلت بعد مرور ثلاثمائة عام حيث يقول بعض علماء الحضارات: إنَّ الجيل يتبدل كل أربعين عاماً، ولذلك يوجد في الآية: ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾^(١)، حتى يتبدل هذا الجيل، فكم جيلاً تبدل في خلال هذه الأعوام الطويلة، لعلَّ القضية نسيت أو اختلف فيها ولكن بعد هذه المدة الطويلة، ﴿وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾^(٢)، وإذا بأهل الكهف يعودون إلى الظهور بعد هذه الغيبة.

سبب الغيبة؟

إذا كانت ظاهرة الغيبة عامة فالسؤال عن علة الغيبة وسببها يكون سؤالاً عاماً أيضاً، كما أن هذا السؤال لا يختص بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، إذ يجب أن يُقال لماذا غاب عيسى بن مريم؟ فالسؤال نفسه يرد، فهو إذن سؤال عام وليس سؤالاً خاصاً، نعود بعد هذا المدخل إلى الأجوبة عن هذا السؤال بصيغته الخاصة، لماذا غاب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)؟ هنالك عدة إجابات في هذا البحث نتناول منها إجابتين ونَدَعُ بقية الإجابات لمباحث قادمة:

(١) سورة المائدة: ٢٦.

(٢) سورة الكهف: ٢١.

الإجابة الأولى:

هي التي أجاب بها الشيخ الطوسي^(١) (رحمة الله تعالى عليه) في كتابه (الغيبة^(٢) في ص ٨٥)^(٣)، ونحن نعتقد أن هذه الإجابة مفتاح مهم

(١) شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تلمذ على يد الشيخ المفيد والشريف المرتضى من بعده، ورأس الطائفة بعد وفاته وكان جامعاً للعلوم بشتى أصنافها وقد أكثر في التأليف والتحقيق فخرجت على يديه مئات الكتب التي لم يصنف مثلها كماً وكيفاً فضلاً عن خدماته الجليلة التي أقامها من إحياء الحوزات العلمية والدفاع عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ولد سنة ٣٨٥هـ وتوفي سنة ٤٦٠هـ.

(٢) كتاب الغيبة: من أهم الكتب المعتبرة في هذا المضمون وفيه ثمانية فصول وفي كل فصل مجموعة من المطالب المهمة في إثبات الغيبة ورد الشبهات حولها وما يتعلق بها من مسائل ويحتوي على (٥٠٥) حديثاً، وقد سبق الشيخ الطوسي في التأليف حول هذا المضمون جمع من مصنفى الإمامية وشيوخهم منهم: الشيخ الثقة الجليل الفضل بن شاذان ت ٢٦٠هـ في كتابه (إثبات الرجعة) في إثبات الغيبة، ومنهم: الشيخ النعماني حدود ٣٦٠هـ تلميذ الشيخ الكليني وكتابه في كتابه المعروف بـ (غيبة النعماني)، ومنهم: والشيخ الصدوق ت ٣٨١هـ في كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) وغيرهم.

(٣) قال رحمه الله في كتابه: ص ٨٥ ط. مؤسسة المعارف الإسلامية قم المقدسة: (فإذا ثبت بطلان هذه الأقاويل كلها لم يبق إلا القول بإمامة ابن الحسن عليه السلام، وإلا لأدى إلى خروج الحق عن الأمة، وذلك باطل. وإذا ثبتت إمامته بهذه السياقة ثم وجدناه غائباً عن الابصار، علمنا أنه لم يغيب مع عصمته وتعين فرض الإمامة فيه وعليه إلا لسبب سوغه ذلك وضرورة أبحاثه إليه، وإن»

من مفاتيح التعامل مع الدين ككل، ويمكن أن نُعبّر عنها بفكرة الحكمة المجهولة - على الرغم من أن الشيخ لا يستخدم هذا التعبير - هنالك في الحياة نقاط غموض تخص دائرة التكوين والتشريع، ونقاط الغموض هذه، أما أن عقلية البشر لا تستطيع فهمها، وأما أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه النقاط غامضة لحكمة من الحكم ..

في دائرة التكوين هنالك نقاط غموض، فأن يلاحظ الإنسان هذه النقاط بعيداً عن نظرية الحكمة المجهولة فربما يُبتلى بحالة من الإحباط والنكوص والارتداد.

ربما نُقل لكم قديماً، إن رجلاً قال: مرة ذهبت إلى أوروبا فرايت هنالك امرأة كانت تنكر وجود الله سبحانه وتعالى وتقول: لو كان الله موجوداً لما قامت الحرب العالمية الثانية، يبدو أنها اکتوت بنيران الحرب العالمية الثانية، وإننا كبشر نعيش أحياناً مشكلات محيرة في حياتنا، فلماذا يحدث هذا الشيء؟ فهو إما حدثٌ يتعلق بحياتنا

► لم يُعلم على وجه التفصيل. وجرى ذلك مجرى الكلام في إيلام الأطفال والبهائم وخلق المؤذيات والصور المشينات ومتشابه القرآن إذا سألنا عن وجهها بأن نقول: إذا علمنا أن الله تعالى حكيم لا يجوز أن يفعل ما ليس بحكمة ولا صواب، علمنا أن هذه الأشياء لها وجه حكمة وإن لم نعلمه معنا. وكذلك نقول في صاحب الزمان عليه السلام، فإننا نعلم أنه لم يستتر إلا لأمر حكيم يسوغه ذلك وإن لم نعلمه مفصلاً.

الشخصية أو حدث يتعلق بالبشرية ككل ، إنها نقاط غموض في الإطار التكويني ، وهناك نقاط غموض وإبهام في الإطار التشريعي ، كم مثلاً لدينا ؟ هنالك مئات الأمثلة على ذلك .

فكيف نواجه نقاط الغموض وفق نظرية الحكمة المجهولة ، إن هذه النظرية ترتبط ارتباطاً عضوياً مع مستوى الإيمان ، أي كلما كان مستوى الإيمان عالياً يكون الإيمان بالحكمة المجهولة أقوى ، فنحن عندما آمنا بالله سبحانه وتعالى إيماناً يقينياً قاطعاً ، وآمنا بأن الله سبحانه وتعالى حكيم ورحيم وودود ، (لاحظ مفردة (ودود) كم هي لفظة جميلة).

ويمكن كل انسان ان يتلى مرةً بمشكلة مدمرة في حياته ، والله تعالى يعرف كيف يتلى الفرد في نقطة مدمرة من حياته ، فكل شخص يتلى الله تعالى بشكل أو طريقة ما ، فيقول لماذا يا الله .. ؟ إن القضية تعد محلولة لأنك آمنت بالله وبحكمته ، إنك تؤمن بأن الله ودود رحيم ، وتؤمن بأن الله تعالى ما قدر للمؤمن شيئاً إلا وهو خير له ، إذن حُلَّت المشكلة .

نعم إذا كان الشخص عديم الإيمان يجب أن يعود إلى الجذور ، فإذا شعر أن لديه شكاً يجب أن يعود إلى إيمانه وجذوره .

العقيدة أولاً

لا بأس أن ننقل لكم هذه القضية، ربما يكون مضمونها مفيداً، يقول العَمُّ^(١) (حفظه الله): عندما جاءت الموجة الشيوعية إلى العراق قبل خمسة وأربعين عاماً تقريباً - كما أظن - قلت لوالدي رحمه الله^(٢): ماذا نبحث مع الشباب؟ (لأننا كُنَّا ندير هيئات شبابية) فقال والدي: ابحثوا معهم في أصول الدين فقط، ولا تبحثوا في أي شيء آخر، فلا تبحث معه لماذا حُرِّم خاتم الذهب على الرجل مثلاً، لأن هذه الأسئلة تبدأ ولا تنتهي، إنك وصلت إلى حل هذه المشكلة، لأن خاتم الذهب يحتوي على إشعاعات تؤثر على الكريات الحمر أو البيض لدى الرجال ولا تؤثر في النساء.

(١) المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي ولد سنة ١٣٦٠ هـ في مدينة كربلاء المقدسة، ألف أكثر من خمسة وثمانين كتاباً لمختلف المستويات، تحمل أعباء المرجعية بعد وفاة أخيه الأكبر سنة ١٤٢٢ هـ.

(٢) آية الله العظمى السيد مهدي بن حبيب الله الحسيني الشيرازي ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٤ هـ تتلمذ على أساطين الحوزة العلمية منهم: الآخوند الخراساني والسيد اليزدي والميرزا الشيرازي والميرزا النائيني والشيخ محمد رضا الهمداني، وكان من المجاهدين في ثورة العشرين ضد الموجة الشيوعية والمد القومي فضلاً عن الاشتراك في الحركة ضد الحكومة الإيرانية بقيادة المرجع الكبير السيد حسين القمي، وبعد وفاته سنة ١٣٦٦ هـ تسلم المرجعية في كربلاء المقدسة إلى أن توفي فيها سنة ١٣٨٠ هـ.

سؤال ثان: لماذا تشتمل صلاة الصبح على ركعتين وليست ركعة واحدة؟ ولماذا ليست ثلاث ركعات؟ كذلك لماذا يكون الطواف حول الكعبة سبعة أشواط وليس ثمانية أو ستة أشواط؟ قد يقول أحدهم: أنا اليوم مرتاح وصحتي جيدة ويعجبني أن أتوجه إلى الله سبحانه وأصلي صلاة الصبح أربع ركعات، لِمَ هذا غير ممكن؟! إن هذه الأسئلة التي تتعلق بالفروع تبدأ ولا تنتهي، لأنكم لا تصلون إلى نتيجة في هذا الجانب فينبغي عليك أن تثبت قاعدة، والقاعدة هي: (الله، النبي، الإمام، المعاد) فإذا حُلَّت قضية العقيدة لدى الشاب فإن كل القضايا لديه تصبح محلولة، ولا يقتصر هذا الأمر على الدين بل في أمور الحياة الأخرى أيضا، فعندما آمنتُم بأن هذا طبيب حاذق وفاهم ورحيم وودود، فكل ما سيقوله ستعملون به، إننا لا نفهم كثيراً من التعليمات التي يقولها لنا الأطباء، بل لا يمكن أن نفهمها، لأن الطبيب لا يتمكن من أن يُفهمنا إياها، كما لا يتمكن عالم من علماء الأصول أن يفهم (المعنى الحرفي) لبقالٍ في رأس المحلة، لأن إفهام المعنى الحرفي لهذا البقال غير ممكن، ولكن عندما آمنت بالطبيب ستخضع لكل تعليماته، ولكن لماذا جاء قول الطبيب هكذا؟ إذن هي الحكمة المجهولة التي جاءت من خبير ودود، ولأنه عليم حكيم فقد حُلَّت المشكلة.

إذن النظرية الأولى التي يطرحها الشيخ الطوسي (رحمة الله عليه) في هذا المجال هي الحكمة المجهولة، فهناك حكمة كامنة وراء الغيبة لا نعلمها ولا يُشترط أن نعلمها، هل تظهر لنا هذه الحكمة في يوم من الأيام؟ ربما تظهر لنا في عهد الظهور، وإذا شكك أحد في هذا فيجب أن يشكك في إيمانه، إذن يجب علينا أن نتقل إلى مرحلة متقدمة من الإيمان، فهل نؤمن بالله والنبوة والإمامة وبالإمام المنتظر؟ إذا انتهينا من هذه المرحلة فستكون جميع الفروع محلولة.

تعليق:

ويوجد هنالك تعليق مختصر على هذه النظرية، إننا مع امتلاكنا للإيمان ولكن قد نحاول تحويل الحكمة المجهولة إلى حكمة معلومة ولو في بعض أبعادها، يوجد كتاب لطيف (علل الشرائع)^(١) حيث كان يأتي الناس إلى أهل البيت (صلوات الله عليهم) ويطرحون عليهم أسئلة تتناول الدين وأحكامه وفروعه،

(١) تأليف الشيخ أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب بالصدوق المتوفى سنة ٣٨١ هـ وهو (علل الشرائع والأحكام والأسباب) والكتاب في بيان حكم والعلل الظاهرية للأحكام والموضوعات الشرعية والقضايا التاريخية الواردة عن المعصومين عليهم السلام وللكتاب جزآن وكل جزء على يحتوي على مجموعة من الأبواب وكل باب يحتوي على جملة من الأحاديث والجزء الأول يحتوي على (٢٦٢) باباً والجزء « الثاني يحتوي على (٣٨٥) باباً.

إن السؤال لا يتنافى مع الإيمان وربما يكون مُنكرًا، إنني مؤمن ولكنني أحاول أن أفهم بعد الإيمان، فإذا كانت الإجابة صحيحة وتامة، ولكن نحن نحاول أن نحول الحكمة المجهولة إلى حكمة معلومة، ونحاول أن نبحث في طرق استكشاف بعض الحكم وراء هذه الغيبة.

الإجابة الثانية:

إنها كالإجابة الأولى وقد وُوجهت بالرفض والتشكيك وقد طرحها الشيخ الطوسي (رحمة الله عليه) أيضا في مكان آخر من (كتابه في ص ٩١)^(١) وهي الخوف من بطش الظالمين، ولكن هل الأنبياء والأولياء يخافون؟ الجواب: نعم، فقد ورد في القرآن الكريم أن الأنبياء يخافون، كما جاء في القرآن الكريم عن حكاية نبي الله موسى عليه السلام: ﴿فَقَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾^(٢)، إذا لقد خاف النبي موسى عليه السلام وفرّ على أثر هذا الخوف، إن الفرار ليس عيبًا،

(١) قال رحمه الله في كتابه ص ٩٠: (قلنا: مما يقطع على أنه سبب لغيبة الإمام هو خوفه على نفسه بالقتل بإخافة الظالمين إياه، ومنعهم إياه من التصرف فيما جعل له التدبير والتصرف فيه فإذا حيل بينه وبين مراده، سقط فرض القيام بالإمامة، وإذا خاف على نفسه وجبت غيبته، ولزم استتاره كما استتر النبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة في الشعب، وأخرى في الغار ولا وجه لذلك إلا الخوف من المضار الواصلة إليه).

(٢) سورة الشعراء: ٢١.

لأن نبي الله موسى عليه السلام فرّ لكي لا يُقتل.

إننا حين نصف شخصاً بأنه (خوّاف) فإن هذا يعدّ ذمّاً، لكن كيف يخاف نبي الله عليه السلام وهو يجب أن يكون قمة في الكمال الإنساني؟

والجواب على ذلك هو أن الخوف نوعان:

الخوف المحمود: وهو الخوف مما ينبغي أن يُخاف منه في موطن يعدّ الخوف فيه محموداً.

الخوف المذموم: وهو الخوف مما لا ينبغي أن يُخاف منه في موطن يعدّ الخوف فيه مذموماً.

إذن فالخوف ليس مذموماً مطلقاً، بل هو قضية فطرية أودعها الله سبحانه وتعالى في فطرتنا نحن البشر لندافع به عن كياننا وذواتنا وأنفسنا وشؤوننا عند استشعار الخطر.

إن الإنسان إذا كان لا يشعر بالخوف فإن هذا يعود إلى أحد عاملين:

إما يعاني من مشكلة شعورية.

وإما يعاني من مشكلة نفسية.

فإذا لم يخف الشخص في موطنٍ ينبغي أن يُخاف فيه ومن شيءٍ ينبغي أن يُخاف منه فإن هذا يدل على وجود خلل في أحد العاملين أعلاه.

العامل الأول: هو وجود خلل في الشعور والإدراك، وهو ما يذكره المحقق النائيني^(١) (رحمة الله عليه) في فوائده، إذ يقول: (إنَّ هنالك وجوداً خارجياً ووجوداً عينياً، وبين الوجود الخارجي والوجود العيني وجه، قد يكون وجوداً خارجياً لا عينياً، وقد يكون وجوداً عينياً لا ذهنياً، وقد يجتمعان وقد يرتفعان).

فهناك واقع خارجي مخيف لكنه قد لا ينعكس في الذهن، كما لو أنَّ شخصاً ما جالس في مكان ما ويأتيه أسد من ورائه ليفترسه ولكن هذه الوقائع الخارجية لا تنعكس في ذهنه فيبقى جالساً في مكانه ولا يفر منه، لأن هنالك إشكالاً في الصورة الذهنية لديه، حيث لم يستشعر الخطر المحيِّق به ولم يفهمه.

وأحياناً نرى بعض الأطفال قد يأخذ عقربة ويلعب بها وقد

(١) الشيخ الجليل محمد حسين بن الشيخ عبد الرحيم النائيني، أستاذ الفقهاء والأصوليين، ولد في نائين بإيران سنة ١٢٧٣ هـ. وهاجر إلى العراق وحضر في سامراء سنة ١٣٠٣ هـ وقرأ فيها على المجدد الشيرازي والميرزا الشيرازي وغيرهما وبعد وفاة المجدد بقي في سامراء في جملة من بقي ثم سافر إلى كربلاء وبقي فيها مدة ثم انتقل إلى النجف وكان ممن يحضر مجلس الآخوند الخااص وبعد وفاته استقل بالتدريس وبعد وفاة الميرزا محمد تقي الشيرازي ترأس على المرجعية هو والسيد أبو الحسن الأصفهاني وكان من المجاهدين ومن زعماء الثورة على الانجليز ومن المعارضين لهم بعد الثورة، توفي في النجف يوم السبت ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٥ هـ.

يأكلها أيضاً، لأنه لا يدرك خطورتها، فهل هذا كمال يتحلى به هذا الطفل؟ كلا، إنه لا يخاف لأنه هنالك إشكال في الإدراك لديه وهنالك مشكلة في الشعور.

العامل الثاني: قد لا يعاني شخص ما من مشكلة شعورية وهو يدرك الخطر إذا حاق به، لكن قد لا يخاف مما ينبغي أن يخاف منه، ومثل هذا الشخص يعاني من خلل في تركيبته النفسية، فإذا هاجم ثعبان شخصاً ما ورأى الشخص الثعبان وعرف بأنه قاتل ولم يفّر منه ولم تكن مهمته الثبات، فإن هذا يدل على وجود خلل نفسي لديه ولا يعتبر إنساناً طبيعياً أو سوياً.

إن الله تعالى جعل فينا غريزة الخوف لندافع بها عن أنفسنا ومصالحنا وذوينا وكياننا، فالخوف كمال، وإذا كان الشخص لا يشعر بالخوف، فهو جدار!! أو قد يكون ملكاً، فلعل الملك لا يخاف لأننا لا نعرف طبيعة الملك، أما الجدار فلا يخاف، لأنه ليس لدينا إحاطة بواقع الجدار فهو لا يخاف كما يبدو لنا، إن الجمار لا يخاف والنبات كذلك حيث يُخيّل إلينا أنه لا يخاف، إن من لا يخاف فهو جدار وليس بشراً، فإذا الخوف كمال.

نعم، يجب على الفرد في بعض المواقف أن يُقدم ولا يُحجم، ذاك بحث آخر، وهنا نسأل هل الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) كان معرضاً للخطر؟ بمعنى لو أن الإمام كان ظاهراً هل كان هنالك خطر

يحيق به؟ الجواب: نعم، وهناك أدلة كثيرة على ذلك، والدليل الأول هو أبوه، الإمام العسكري عليه السلام الذي قُتل بأيدي الظالمين، والدليل الثاني جدّه الإمام الهادي (صلوات الله عليه) الذي قُتل بأيدي الظالمين أيضاً، أما الدليل الثالث فإن جميع آبائه الطاهرين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله مقتول لقوله: «ما منا إلا مسمومٌ أو مقتول»^(١).

إن الظالمين ومجتمعات الظلم لم تتحمل الوجود الطاهر لأهل البيت، فالجتمع لا يتحمل وجودهم وكذلك الحكومات، فتقتلهم واحداً واحداً، وفي هذا الأمر يقول الخطباء الكرام:

أما النبي فقد قضى وبقلبه من قومه قسبات وجدٍ مُكمنٍ
والبضعة الزهراء ماتت بعدما ألفت بضرب سياطهم بالمحسن
والمرتضى أردوه في محرابه يمين أشقى العالمين والعن
لقد قتلوا الأئمة واحداً واحداً، كذلك قتلوا أنبياء الله
وشردّوهم وطاردوهم. وكما جاء في بحار الأنوار عن الإمام الحسين
(صلوات الله عليه) أنه قال لعبد الله بن عمر: «يا أبا عبد الرحمن أما
علمت أن رأس يحيى أهدى إلى بغي من بغايا بني إسرائيل»^(٢).

(١) كفاية الأثر، للخزاز القمي: ص ٢٢٧ في ما جاء عن الحسن عليه السلام من النص على أخيه عليه السلام.

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج ٤٤ ص ٣٦٥ ب ٣٧ في توجه الحسين عليه السلام إلى العراق.

لماذا قتلوا نبي الله يحيى عليه السلام؟ لأنه وقف بوجه السلطان^(١)، فقتله الحاكم، ووضع رأسه في طشت ثم أهدي الطشت إلى بغى من بغايا بني إسرائيل^(٢).

في الحديث نفسه هذا يقول الإمام عليه السلام: «أما علمت أن بني إسرائيل كانوا يقتلون بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يغدون إلى أسواقهم كأنهم لم يفعلوا شيئاً، يبيعون ويشتررون»^(٣)، إذن فجميع الأنبياء أو معظمهم قتلوا وطوردوا، لأن الحكومات والمجتمعات لم تكن تتحملهم. وجاء في الآية الكريمة: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾^(٤).

إن الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) لا يشذ عن هذا القانون العام بل أن التهديد الذي كان معرضاً له أكثر لأنه هو المبشر به،

(١) وهو هيرودس انتيباس ابن هيرودس الكبير، وبعد وفاة أبيه ورث منطقة الجليل وجزءاً من شرق الأردن ولد سنة (٤ ق.م وتوفي سنة ٣٩ ب.م).

(٢) سعد السعود: ص ٥٧ في أسباب قتل يحيى عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٤ ص ٣٦٥ ب ٣٧ في توجه الحسين عليه السلام إلى العراق ونص الحديث: «أما تعلم أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشتررون كأن لم يصنعوا شيئاً فلم يعجل الله عليهم بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام، اتق الله يا أبا عبد الرحمن، ولا تدع نصرتي».

(٤) سورة هود: ٩١، وهذه الآية إشارة إلى خطاب قوم النبي شعيب عليه السلام والمعنى: فلولا عشيرتك وقومك لرجمناك بالحجارة وقتلناك شر قتلة.

وهو الذي تواترت الأحاديث حوله بأنه سوف يسقط جميع الظالمين، وينهي الظلم من على الكرة الأرضية.

فكم من مرة بعث المعتمد الحاكم العباسي^(١) أفراداً لاغتيال الإمام المهدي عليه السلام، ففي إحدى المرات بعث ثلاثة لا يعرف أحدهم عن الآخر شيئاً حيث بعثهم متفرقين لكي يقتلوا الإمام عليه السلام، ثم بعث جيشاً لقتل الإمام عليه السلام.. فلم يتركوه وشأنه، ولو كان الإمام عليه السلام ظاهراً لكان مهدداً من قبل الحكومات ولعله كان مهدداً من قبل كثير من المجتمعات أيضاً.

إشكال وجواب

هنالك شخص مجهول كتب قصيدة طرح فيها الإشكال التالي - دقق قليلاً في هذا الإشكال - يقول بما معناه: إن الإمام الحجة عليه السلام يعلم بأنه الموعود وأنه سوف يظهر، وأن الله سبحانه وتعالى أدخره لذلك اليوم، إذن ليس هنالك خطر على الإمام المهدي عليه السلام ولذلك فالإمام لا يخاف، فإذا قررت إرادة الله تعالى بأن الإمام المهدي سيظل إلى اليوم الموعود إذن فلا خطر عليه، بمعنى حتى لو

(١) هو أحمد المعروف بالمعتمد بن جعفر المتوكل العباسي ولد سنة ٢٢٩هـ واستلم الحكم سنة ٢٥٦هـ وفي سنة ٢٦٠هـ اغتال الإمام العسكري عليه السلام وكبس داره وقد عرف عنه إنه كان منهمكاً باللغو واللعب فكرهته الرعية وكان يسكر ويعريد مع الندماء وهلك في قصره مع ندماءه ومطريه سنة ٢٧٩هـ.

كان الإمام ظاهراً فلا يمكن أن يمسه سوء، إن من كتب هذه القصيدة تركها من دون توقيع وأشكل ضمن أبياتها على فكرة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، إن هذا الإشكال واضح وقد فصلنا الإجابة عنه في مكان آخر.

هنالك قضايا حملية وقضايا شرعية، بإرادة الله تعالى قد تتعلق بظاهرة على نحو القضية الحملية، ولستم بحاجة إلى تهئية مقدمات، بإرادة الله تعالى تتعلق بطلوع الشمس، فما هي وظيفتكم بشأن طلوع الشمس غداً؟ ليس لديكم وظيفة، تجلسون في أماكنكم وتنتظرون أن ينجلي الليل وستطلع الشمس غداً لأن إرادة الله تعلقت بهذه القضية على نحو القضية الحملية، ولكن أحياناً تتعلق إرادة الله بشيء على نحو القضية الشرطية، إن الله تعالى يريد أن يكون لكم أولاد ولكن بشرط أن تتزوجوا، إذن قد يقعد شاب ما في بيته ويقول إذا كانت قضية الأولاد تتعلق بإرادة الله فسأبقى في مكاني ولا أتزوج فحتى لو تزوجت لا يكون لي أولاد لأن القضية متعلقة بإرادة الله، ماذا يكون جوابنا؟

الجواب هو إن إرادة الله قررت بأن يكون لك أولاد ولكن بشرط أن تتزوج.

فهل كان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) يعلم أن الله حافظه أم لم يكن يعلم؟ وهل كان النبي الأعظم يعلم بأنه يعود إلى مكة أم

لا؟ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْ مَعَادٍ﴾^(١)، إذن لماذا ذهب النبي إلى الغار؟ فكان يستطيع أن يقعد في بيته ويقول إن سلامتي مصانة بالضمان الإلهي، لكنه أخفى نفسه عن الأعداء، نعم، إن النبي مصان بالضمان الإلهي ولكن على نحو القضية الشرطية لا على نحو القضية الحتمية، وبذلك يمكن أن نقول: إن هذا الإشكال أيضا غير وارد.

«أما علمت أن بني إسرائيل كانوا يقتلون بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً ثم يغدون إلى أسواقهم كأنهم لم يفعلوا شيئاً، يبيعون ويشترون».

علة الخوف

لدينا تعليق مختصر حول هذه النظرية بعد توضيحها، هنالك علة لكل شيء ولكنها لا تكون العلة النهائية بل يكون وراءها علة أخرى هي السبب في ولادتها، فهي علل طولية مترامية، وكل علة لاحقة تستند إلى العلة السابقة.

إننا نقبل العلة التي ذكرها الشيخ الطوسي وهنالك رواية تؤيد هذا المطلب أيضا مروية في كتاب كمال الدين: (باب ٤٤ حديث ٨ و٩ و١٠ ص ٢٨١) حيث يرويها زرارة^(٢) إذ يقول: سمعت أبا جعفر

(١) سورة القصص: ٨٥.

(٢) روى زرارة هذه القضية عن كل من الإمام الباقر عليه السلام والإمام الصادق عليه السلام.

الباقر عليه السلام يقول: «إن للمهدي (صلوات الله عليه) غيبة قبل أن يقوم» - فيغيب قبل الظهور وقبل القيامة - فقلت: لم قال الإمام عليه السلام: «إنه يخاف؟»، فقال زرارة: يعني القتل.

لكن هناك احتمال آخر، على الرغم من أن فهم زرارة حجة لنا^(١)، لأن هذا الأمر يدور بين الاجتهاد والحس، وأصالة الحس

«ورواها الشيخ الصدوق وغيره بأسانيده عن زرارة فروى الصدوق بإسنادين الأول عن ابن بكير والثاني عن علي بن رثاب عن زرارة قوله: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «إن للقائم غيبة قبل أن يقوم» (كما في نسخة ابن بكير) «إن للقائم غيبة قبل ظهوره» (في نسخة علي بن رثاب)، قلت: ولم قال عليه السلام: «يخاف وأوماً بيده إلى بطنه»، (قال زرارة: يعني القتل كما في نسخة علي بن رثاب)، وروى أيضاً بإسناده عن خالد بن نجيح وابن بكير عن زرارة قوله: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا زرارة لا بد للقائم من غيبة؟» (نسخة خالد وفي نسخة ابن بكير: «للقائم غيبة قبل قيامه»، قلت: ولم قال عليه السلام: «يخاف على نفسه وأوماً بيده إلى بطنه»، (نسخة خالد وفي نسخة ابن بكير: قال عليه السلام: «يخاف على نفسه الذبح» انظر (كمال الدين): ص ٤٨١ ح ٧ رواية خالد بن نجيح، وح ٨ رواية ابن بكير عن زرارة عن الباقر عليه السلام، وح ٩ رواية علي بن رثاب و ١٠ رواية ابن بكير عن زرارة عن الإمام الصادق عليه السلام.

(١) زرارة بن أعين بن سنسن أبو الحسن واسمه عبد ربه و(زرارة) لقب له شيخ الإمامية كان قارئاً فقيهاً متكلماً شاعراً أديباً من أفقه الأولين، من أصحاب الإمام الباقر والصادق والكاظم عليه السلام وكان من خواصهم وأصحاب سرهم ومن حوارى الصادقين توفي سنة ١٥٠ هـ ووردت في حقه وفي حق جملة من الأصحاب جملة كبيرة من المذائح من قبل الأئمة منها قول الصادق عليه السلام: «

العقلانية محكمة، فالمقام ربما يعني بإشارة من الإمام أن مراده القتل^(١)، ولكن هناك احتمال آخر وهو الخوف على المهمة، إذن نحن لدينا خوفان وربما سنوضح هذا لاحقاً، فربما يخاف الشخص على نفسه وقد يخاف على مهمته وليس على نفسه.

نأتي بشاهد لذلك، إن الله تعالى يقول: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾^(٢)، فمن أي شيء خاف؟ عندما ألقى السحرة جبالهم وعصيهم وإذا بالصحراء تمتلئ بالأفاعي ويقال كما أظن: إن الناس فروا، فقد وضع السحرة زُبْقاً على هذه العصي والحبال وظهرت كأنها تتحرك بفعل حرارة الشمس^(٣)، فهل خاف موسى

► «ما أجد أحداً أحسى ذكرنا، وأحاديث أبي إلا زرارة وأبو بصير ليلت المرادي، ومحمد بن مسلم، وبريد بن معاوية العجلي، ولولا هؤلاء ما كان أحد يستبسط هذا، هؤلاء حفاظ الدين وأمناء أبي عليه السلام على حلال الله وحرامه، وهم السابقون إلينا في الدنيا، والسابقون إلينا في الآخرة».

(١) بل هذا المعنى كما مرّ إما بتصريح من المعصوم كما في رواية ابن بكير عن الصادق عليه السلام وإما بكناية وإشارة كما في رواية خالد عن الصادق عليه السلام أيضاً وإما بإشارة منه كما في رواية ابن بكير وعلي بن رثاب عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) سورة طه: ٦٧.

(٣) جاء في كتاب (قصص الأنبياء) للسيد الجزائري: ص ٢٩٢ في بعثة موسى عليه السلام وهارون عليه السلام إلى فرعون: (وروي في قوله تعالى: ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾، أنه لم تكن تسمى حقيقة وإنما تحركت: لأنهم جعلوا داخلها الزئبق، فلما طلعت الشمس طلب الزئبق الصعود فحركت الشمس ذلك ◀

عليه السلام هذه الأفاعي الوهمية؟

جاء في حديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه خاف من غلبة الباطل وتضليل الجهمية^(١)، إذ كيف يميز الناس بين المعجزة والسحر؟ فخشى الإمام أن لا يظهر الحق ويبدى الواقع وينجح في مهمته، وربما تؤيد الآية اللاحقة^(٢) هذا المعنى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾^(٣)، إن الأمر متعلق بالخوف من أن لا تكون حجتة هي الأعلى، إنه كان خائفاً من هذا الأمر، نعم يوجد احتمال في صحة هذا القول، إن الإمام لم يكن يخاف من القتل كما فهم زارة^(٤)، وإنما كان خائفاً من عدم تمكنه لأداء المهمة، وسنشرح هذا الموضوع في أحاديث قادمة.

وقيل في رواية أخرى: إن الإمام عليه السلام كان «يخاف على نفسه

► فظن أنها تسعى، فخاف موسى أن يلتبس على الناس أمرهم ولم يفرقوا بين فعله وفعلهم فيشكوا).

(١) راجع: نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٩ من خطب أمير المؤمنين عليه السلام الرابعة في هداية الناس وكمال يقينه، وفيها قوله عليه السلام: «لم يوجس موسى عليه السلام خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهال ودول الضلال».

(٢) اللاحقة لقوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى﴾.

(٣) سورة طه: ٦٨.

(٤) ومقام الجمع بين الاحتمالين أنه كان خائفاً من القتل لأن في قتله قتل للرسالة المحمدية وعدم إتمام المهمة السماوية.

الذبح»^(١)، فهؤلاء الذين فجروا المراقد في سامراء، لو كان الإمام الحجة عليه السلام ظاهراً هل كان يردعهم مانع من قتل الإمام الحجة؟ قطعاً كلا، فقد قتلوا آباءه من قبل، وهؤلاء هم أولاد أولئك أو أتباعهم.

إذن فتنظيرة الخوف مقبولة، ولكن هنالك ملاحظة، وهي قد تكون للشيء علة ووراءها علة أخرى طويلة لا عرضية، أي علتان ليستا في مستوى واحد، بل علة تولد عنها علة ظاهرة، فلماذا غاب الإمام عليه السلام؟ هل بسبب الخوف؟ ولكن لماذا يخاف؟ إن الخوف واقع نفسي وهو انعكاس لواقع خارجي.

الإجابة الثانية والواقع الخارجي:

وهنا يلزم أن تنتقل إلى الكلام عن ذلك الواقع الخارجي:
في أحد الأيام سيظهر الإمام الحجة (صلوات الله عليه)، فلماذا لا يخاف ذلك الوقت؟

ولماذا تنتفي علة الخوف في ذلك الوقت؟
لأن الشروط الموضوعية تغيرت، إن تلك الشروط الموضوعية التي ستوجد في عصر الظهور غير متوفرة الآن، وكما يبدو أن تلك الشروط هي علة الخوف، وبعد أن انتقلنا إلى الإجابة الثانية هذه،

(١)- كمال الدين ونظام النعمة: ص ٤٨١ ح ١٠.

يجب أن تنتقل إلى العلة الكامنة وراء هذه العلة، فما هي تلك الشروط الموضوعية التي تسبب الخوف؟

وهناك سؤال آخر، هل هذه الشروط الموضوعية اختيارية أو جبرية؟

فإن كانت تلك الشروط الموضوعية جبرية، فليس لنا حول ولا قوة، ولكن إذا كانت تلك الشروط الموضوعية اختيارية فإذن يمكن لنا أن نسهم في تغييرها.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

أهمية نجاح الإنسان في التعامل مع قضية الإمام المهدي المنتظر

عجل الله فرجه

كان كلامنا يدور حول السبب الذي يكمن وراء غيبة ولي أمرنا وإمام زماننا الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه، وكيف يمكن تفسير هذه الغيبة المحيرة؟ وقد سبق أن ذكرنا في الحلقة الماضية أن هذا السؤال لا يختص بغيبة الإمام المهدي، وإنما يعم كثيراً من غيابات الأنبياء والأولياء، فلماذا غاب نبي الله موسى ﷺ أربعين ليلة؟ ولماذا غاب نبي الله عيسى ﷺ حوالي ألفي عام؟ ولماذا غاب ذو النون ﷺ أربعين

إن غيبة الإمام
المهدي عجل الله تعالى
فرجه تمثل شكلاً من
أشكال التمحيص
والابتلاء الإلهي للعباد
الفقيه الشيرازي

يوماً عن قومه؟ ولماذا غاب أهل الكهف ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً؟

في المقام توجد هنالك عدة إجابات وقد مضت منها إجابتان: إن غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تمثل شكلاً من أشكال التمحيص والابتلاء الإلهي للعباد، حيث يبين القرآن الكريم أن الابتلاء الإلهي سنة الله في عباده ويقول: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۖ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾^(١)، فالابتلاء الإلهي كان موجوداً في الأمم المتقدمة ولا تشذ هذه الأمة عن هذه السنة الإلهية^(٢)، بل لعل القرآن الكريم يدل على أن الغاية من الخلقة والهدف منها هو الاختبار والامتحان، يقول القرآن الكريم: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾^(٣)، ولعلّ ظاهر هذه اللام أنها تخص الغاية أو أنها لام العاقبة التي يذكرها (المغني)^(٤)، فهذا هو الهدف

(١) سورة العنكبوت: ٢-٣.

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لتركن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة» المسترشد: ص ٢٢٩ ح ٦٦، وقريب منه في مصادر العامة: انظر (المستدرک): ج ٤ ص ٤٥٥.

(٣) سورة الملك: ١-٢.

(٤) كتاب (مغني اللبيب عن كتب الأعاريب) تأليف ابن هشام الأنصاري «

وهذه هي الغاية.

الإجابة الثالثة:

إن للاختبار والابتلاء الإلهي أشكال، أحد أشكاله: الابتلاء بالغنى والابتلاء بالفقر، والابتلاء بالقوة والابتلاء بالضعف والابتلاء بالجمال والابتلاء بالقبح، وهناك الابتلاء بالغيبة أيضاً، ولكي تتوضح الصورة نستعين بمثال من حياة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

امتحان الأمة بغياب القائد

إن وجود القائد في مراحل التحول التاريخي يُعد قضية مهمة جداً، فوجود القائد بين ظهرائي الأمة في مرحلة التحول وفي بدايات التكوين قضية مهمة لأن الأمة لم تصل بعد إلى كمالها المطلوب ولم تستقر بعد، بل لا تزال فيها رواسب الماضي التي يمكن أن تعرض الأمة للخطر في حالة غياب القائد، ولكن مع كل ذلك تجدون أن

► النحوي توفي سنة ٧٦١هـ وهو من المتون الدراسية في الحوزات العلمية والكتاب مؤلف من ثمانية أبواب الباب الأول منه: في تفسير المفردات وذكر أحكامه، والثاني: في تفسير الجمل وذكر أقسامها وأحكامها، والثالث: في ذكر الظرف والجار والمجرور، والرابع: في ذكر أحكام يكثر دورها، والخامس: في ذكر الأوجه التي يدخل على المغرب الخلل من جهتها، والسادس: في التحذير في الأمور المشهورة بين المعربين والصواب خلافها، والسابع: في كيفية الأعراب والثامن: في ذكر أمور كلية في النحو.

نبياً من الأنبياء العظام يغيب عن أمته في مرحلة التحول والتكوين.
 فعندما انتقل نبي الله موسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) إلى
 مرحلة تكوين الأمة، حيث كانت حديثة التكوين والتأسيس،
 وكانت قد خرجت لتوها من تحت حكم فرعون، وكان وجود النبي
 موسى في هذه المرحلة مهماً جداً، لكن وإذا به يغيب ثلاثين ليلة،
 والعجيب أن التقدير الإلهي مدّد هذه الفترة من ثلاثين ليلة إلى
 أربعين: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾^(١)، والسؤال هو كيف كان هذا
 الإتمام وكيف كان هذا الوعد؟ لكن هذه قضية أخرى، فقد طالت
 الغيبة وإذا بالكوا من الدفينة تتحرك، والمجال يُفسح أمام القوى التي
 في قلبها مرض أو شك أو ريب، وإذا بهذه الأمة الجديدة تُمتحن
 امتحاناً شديداً، فيأتي رجل يُقال له: السامري ويصنع عجلاً من
 ذهب ثم يلقي بعد ذلك بقبضة في داخل هذا العجل^(٢)، وإذا به
 يخرج لهم صوت خوار، وهنالك رواية لطيفة وردت في (بحار
 الأنوار: المجلد الثالث عشر ص ٢٢٧)^(٣) منقولة عن الإمام الباقر صلوات الله
 وسلامه عليه، يقول الإمام كما ورد في هذه الرواية: «لما ناجى موسى
 ﷺ ربه أوحى إليه تعالى وهو في الطور: أن يا موسى قد فتنت

(١) سورة الأعراف: ١٤٢.

(٢) اسم عجل السامري (بهيوتا)، انظر (كتاب المحبر): ص ٣٩١ باب أسماء أشياء ذكرها
 الله في كتابه.

(٣) انظر (بحار الأنوار): ج ١٣ ص ٢٢٧ ب ٧ ح ٢٨.

قومك»، بمعنى حصل نوع من الامتحان أو الفتنة، فلو كان موسى موجوداً لما كان لهذا الامتحان الإلهي أن يتم كما يبدو.

وهناك رواية حيث سأل سيد الشهداء صلوات الله عليه: لماذا خرجت إلى كربلاء؟ فقال الإمام صلوات الله عليه: «فيم إذن يُمتحن هذا الخلق»^(١)، فلو لم تكن قضية كربلاء موجودة كيف كان سيظهر جوهر حبيب بن مظاهر والشمر؟ فلعلّ مظهرهما كان واحداً، ولكن عندما تحدث قضية كربلاء وإذا بها تفصل بين هذين الرجلين، وهنالك كوامن خفية في مرحلة القوة حيث يوفر الامتحان الإلهي الجولكي يتحول ما في هذه القوة إلى فعل.

توجد هنالك بيضة عصفور وبيضة أفعى، فإذا لا توجد الأجواء الملائمة لإخراج ما في هذه القوة ربما لا تجدون فرقاً في المظهر بين البيضتين، ولكن عندما توفرون الأجواء لكي يتحول ما في القوة إلى ما بالفعل، وإذا بتلك البيضة تتحول إلى طائر جميل

(١) راجع: اللهوف في قتلى الطفوف، للسيد ابن طاووس: ص ٤٢ في خروج الحسين عليه السلام من مكة إلى العراق، وفيه: «وأنته أفواج من مؤمني الجن، فقالوا له: يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بما تشاء فلو أمرتنا بقتل كل عدو لك، وأنت بمكانك لكفيناك ذلك، فجزاهم خيراً وقال لهم: أما قرأتم كتاب الله المنزل على جدي رسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾، فإذا أقمت في مكاني فبمن يمتحن هذا الخلق المتعوس، وبماذا يختبرون...» .

والبيضة الثانية تتحول إلى أفعى قاتلة.

إن الله سبحانه وتعالى يحرك الأحداث ولا يسلب الإرادة، فهي موجودة ولكن الله تعالى يحرك الأحداث بشكل ما لكي يتحول ما في القوة إلى ما بالفعل، فنحن لا نعلم حتى من نحن؟! وغير مكشوفين لأنفسنا، أي لا نعرف أنفسنا ولذلك دائماً يشعر المؤمنون بالخطر ودائماً يدعون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾^(١).

أحياناً يوجد اختلاط في القلب وعندما يأتي الجو المناسب وإذا بالإنسان يتحول إلى ولي من الأولياء، فهو لم يصبح ولياً بالقوة، إنما الامتحان هو الذي وفر له الجو وإذا به قد تحول إلى احد الأولياء، ومن اجل توفير مثل هذا الجو لابد - مثلاً - لصدام أن يأتي ويحكم الناس، ولو لم يكن صدام حاكماً فرما لم تكن تظهر بعض الكوامن، ولكن حين يُسجن رجلان في هذا الجو وإذا بواحد منهما يتحول إلى صديق مع الأنبياء والصديقين، والثاني يتحول في هذا السجن إلى رجل كافر وزنديق، فمن الذي حول ما في القوة إلى ما بالفعل؟ إن الأجواء وحركة الأحداث هي التي تحركت بشكل أظهر تلك الكوامن.

لهذا ينبغي أن يغيب النبي موسى ﷺ، وغاب فعلاً لكي تتحرك الإرادة التكوينية في اتجاه - دققوا قليلاً - وتحرك الإرادة

(١) سورة آل عمران: ٨.

التشريعية في اتجاه آخر، لأنه إذا توافق تحرك الإرادتين التكوينية والتشريعية فلا يُفسح المجال للامتحان، لهذا تتحرك الإرادة التشريعية في اتجاه وتتحرك الإرادة التكوينية في اتجاه آخر، وإذا بالله سبحانه وتعالى يحصّ ما في القلوب، فقد أوحى الله إليه: «أن يا موسى قد فتنن قومك، قال وبماذا يا رب؟ قال: بالسامري، فلو كان موسى عليه السلام موجوداً لعلّه لم يكن هنالك دور للسامري ولكن غيبة موسى عليه السلام هي التي فسحت أمامه المجال، وقد كان السامري يبحث عن ماء يسبح به وهذه الغيبة هي التي وفرت له هذا الماء، وهذه ليست قضايا الأمم المتقدمة بل هي قضايانا نحن أيضاً، ونخصّ كل واحد منا.

وإذا لم يكن الإمام الكاظم (صلوات الله عليه) يغيب في ظلمات السجون كيف كانت تظهر حقيقة علي بن أبي حمزة البطائني^(١) وزيد بن مروان القندي^(٢) وعثمان بن عيسى

(١) علي بن أبي حمزة البطائني أبو الحسن وكان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام ثم وقف وهو أحد عمد الواقعة، وقد قال الشيخ الطوسي في هذه الواقعة وهم من وقفوا على الإمام الكاظم عليه السلام: (روى الثقات أن أول من أظهر الاعتقاد علي بن أبي حمزة البطائني، وزيد بن مروان القندي، عثمان بن عيسى الرؤاسي، طمعوا في الدنيا ومالوا إلى حطامها واستمالوا قوماً فبذوا لهم شيئاً مما اختانوه من الأموال).

(٢) زيد بن مروان أبو الفضل القندي مولى بني هاشم ومن أصحاب الإمام

الرؤاسي^(١)، فلو كان الإمام ظاهراً لما كان يتاح المجال لهذا الاختبار، فكان لابد للإمام الكاظم أن يغيب في الظلمات، وهي ظلمات السجون وظلم المطامير فيفسح المجال لامتحان هؤلاء.

«قال: بالسامري، قال: وما فعل السامري؟» يسأل موسى من ربه؟ «قال: صاغ لهم من حليهم عجباً»، وهو وليد البقر، فأخذ الحلبي منهم أو الذهب وصاغ عجباً ذهبياً.

لاحظوا سؤال موسى عليه السلام، «قال: يا رب إن حليهم لتحتمل أن يصاغ منها غزال أو تمثال أو عجل - هذا ليس امتحاناً - فكيف فتنتهم؟» لقد أخذ السامري الذهب وصنع منه عجباً فكيف يكون الامتحان؟ وكيف تكون الفتنة؟

«قال الله: إنه صاغ لهم عجباً فخار» له خوار كما في الآية الكريمة، فهذا هو الامتحان.

«قال موسى عليه السلام: يا رب ومن أخاره؟»، أي من الذي جعل العجل يخور؟ «قال: أنا» جعلته يخور، فقال موسى عليه السلام

► الصادق والكاظم عليه السلام ثم أصبح من الواقعة والعجيب أنه كان قد روى النص من الإمام موسى الكاظم على إمامة الإمام الرضا في حياته وبعد شهادته اظهر القول بالوقف طمعا بالمال.

(١) عثمان بن عيسى أبو عمرو العامري الرؤاسي من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام وكان من وكلائه وكان شيخ الواقعة ووجهها وقيل: إنه تاب من القول بالوقف وأرجع أموال الإمام إليه عليه السلام.

عندئذ: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾^(١) فكيف أثار الله سبحانه وتعالى هذا العجل؟ لاحظوا حركة الأحداث.

غيبية موسى عليه السلام وفتنة السامري

إن السامري هو أحد عظماء قوم موسى عليه السلام، وكما ذكر البعض إنه كان من خُلص أصحابه، وعندما أراد قوم موسى أن يعبروا البحر وإذا بجبرائيل يأتي على فرس لا يراه الكل - لاحظوا حركة الأحداث - فأبي فرد لم يرى جبرائيل ولكن السامري يراه - لاحظوا هذه مقدمة لحركة الأحداث نحو تلك النتيجة - ولكن لماذا يرى السامري جبرائيل؟ لأنه إذا لم يكن يرى جبرائيل لما كانت تقوم هذه الفتنة ولما كان هذا الامتحان، فيرى جبرائيل ويرى التراب وقد دبّت فيه الحياة ويتحرك تحت حافر فرس جبرائيل فيخطر في ذهنه أن يأخذ قبضة من هذا التراب المتحرك ويحتفظ بها طويلاً إلى اليوم الموعود، أي عندما يغيب موسى ويصنع العجل الذهبي فيأخذ قبضة من هذا التراب المتحرك الحي ويلقيه في باطن العجل وإذا بالعجل يخور، بمعنى يصدر منه خوار كخوار العجل، ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾^(٢) أي هذا هو الرب! وقد نسي موسى أن هذا

(١) سورة الأعراف: ١٥٥.

(٢) سورة طه: ٨٨.

هو إلهه وضيّع الطريق وذهب لكي يرى الله بينما هذا هو الله - ويقصد به العجل- إن الله (كما يقول السامري للقوم): لا يريد بعد الآن أن يتعامل معكم بواسطة بل يتعامل معكم بلا واسطة، فسجدوا للعجل.

هنا يوجد كلام وتساؤل: كيف فتن الله سبحانه وتعالى قوم موسى ﷺ؟

الجواب: إن الأمر واضح، فالفتنة توجد مجالاً للالتفات - وهذا ما سنوضحه بعد قليل إن شاء الله - وإلا كيف يدل عجل يخور على أنه إله؟!

يقول الوالد رحمه الله^(١): إذا جاء لكم أحدهم بفأرة مصنوعة من الحديد وقال لكم: إن هذه الفأرة إله بدليل أنها تتحرك، وأخذت الفأرة الحديدية تتحرك، فهل هذا يُسوِّغ أن تقولوا هذا إله؟ وهل يقبل العقل بهذه الفأرة إلهاً؟ فالإله الذي يجب أن

(١) المجدد الثاني آية الله العظمى السيد محمد ابن المرجع الورع السيد الميرزا مهدي الشيرازي ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٤٧هـ وهاجر مع والده إلى كربلاء المقدسة سنة ١٣٥٦هـ حضر أبحاث كبار فقهاء عصره أمثال: والده المقدس والسيد محمد هادي الأميني والشيخ محمد رضا الأصفهاني وغيرهم وتزعم الحوزة العلمية سنة ١٣٨٨هـ ثم هاجر منها إلى الكويت سنة ١٣٩٠هـ ومنها إلى إيران سنة ١٣٩٩هـ واستقر في مدينة قم المقدسة إلى أن وافاه الأجل سنة ١٤٢٢هـ ألف أكثر من ألف وستمئة عنوان ما بين موسوعة وكتاب ورسالة.

يكون صانعاً كيف يكون مصنوعاً؟ بمعنى ليس هنالك مجال في هذا، ولكن فُتح هنالك هامش وإذا بقوم موسى وعددهم ستمائة ألف فرد يرتدون جميعاً، ويبقى منهم اثنا عشر ألف فقط، ثم قال لهم السامري: إن موسى كذب عليكم - والعياذ بالله - وهرب منكم ولا يعود إليكم أبداً.

إن العقل لا يقبل هذا إلهاً، وقد ورد في بعض الكتب أن السامري^(١) أخذ العجل وألصقه بجدار وكان وجهه إلى الناس وذيله إلى الجدار وقد ثقب ذلك الجدار - هذا الكلام نقلاً عن أحد المصادر طبعاً - وذهب مجموعة من أعوانه المتآمرين معه وراء الجدار وأخذوا يطلقون الأصوات من وراء الجدار^(٢)، و كان يجب أن يحققوا في

(١) ورد في قضية عجل السامري وسبب خوره عدة معاني، منها: (أنه جعل فيه خروفاً تدخل فيها الريح، فيسمع منه صوت)، انظر (الخرائج والجرائع): ج ٣ ص ١٠١٨ باب في ذكر الحيل وأسبابها وآلاتها، وقيل: غير ذلك.

(٢) عن (قصص الأنبياء، للراوندي) ص ١٧٤ ح ١٩٨: (فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني إسرائيل، فقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم عند أربعين، وهذه عشرون ليلة وعشرون يوماً تمت أربعين أخطأ موسى، وأراد ريكهم أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه، فظاهر العجل الذي عمله، فقالوا له: كيف يكون العجل إلهاً؟ قال: إنما هذا العجل يكلمكم منه ريكهم كما تكلم موسى من الشجرة فضلوها بذلك، فنصب السامري عجلاً مؤخره إلى حائط، وحضر في الجانب الآخر في الأرض واجلس فيه بعض مردته، فهو الذي يضع فاه على دبره ويكلم بما تكلم لما قال: هذا إلهكم واله موسى).

مصدر تلك الأصوات ويذهبوا وراء الجدار ليروا إذا كان هنالك

شيء يقف وراء هذه الظاهرة الغريبة؟

﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾، أي ألم يعدكم الله تعالى وعده السيادة في الدنيا، والقانون والمقام الرفيع في الآخرة: ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾^(١) حتى أرادوا أن يقتلوا هارون - كما ورد في بعض الكتب - فهرب منهم كي لا يقتلوه^(٢).

امتحان الأمة بغياب الإمام المهدي ﷺ

أذكر هنا بعض الروايات التي تبين أن غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، تمثل امتحاناً من الله سبحانه وتعالى لعباده وأعقب هذه الروايات بملاحظة، وقد وردت هذه الروايات في المجلد الثاني والخمسين من كتاب بحار الأنوار، وإحداها موجودة في (الصفحة ٩٥ / الحديث رقم ١٠) في آخر هذا الحديث المروي عن الإمام الصادق صلوات الله عليه يقول: «إن للغلام غيبة قبل أن يقوم» كما جاء في نهاية الحديث: «لأن الله تعالى يحب أن يمتحن خلقه، فعند ذلك

(١) سورة طه: ٨٦.

(٢) روى الشيخ الجليل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: (ج ٢ ص ٦٢) عن أبي جعفر عليه السلام: «وخلف هارون على قومه فلما جاءت الثلاثون يوماً ولم يرجع موسى إليهم غضبوا وأرادوا أن يقتلوا هارون... فهموا بهارون حتى هرب من بينهم...».

يرتاب المبطلون»^(١) وليس الباحثون عن الحقيقة، فالمبطل والذي في قلبه مرض هو الذي يرتاب، وإلا فإن الباحث عن الحقيقة لا يشك. الرواية الثانية موجودة في (الصفحة ١٠١ / الحديث الثالث)، قال أبو عبد الله عليه السلام: «والله لتُكسرن كسر الزجاج وإن الزجاج يُعاد فيعود كما كان، والله لتُكسرن كسر الفخار وإن الفخار لا يعود كما كان»، ولعلّ هذه إشارة إلى نوعين من الأفراد: قسم منهم يميلون ثم يعودون وقسم آخر لا يعودون كما كانوا، «والله لتُحصن»، والله لتُغربلن كما يُغربل الزّوان^(٢) من القمح»^(٣)، حيث تختلط مع الخنطة حبوب حمراء وسوداء أو صفراء، فلا بد أن يحدث تمييز وفصل لتظهر الكوامن.

الحديث الثالث (صفحة ١١٣ / رقم الحديث ٢٦) عن الإمام الكاظم صلوات الله عليه: «إذا فقد الخامس من ولد السابع - وهو الإمام الكاظم عليه السلام - من الأئمة فالله الله في أديانكم..»^(٤).

إن هذه قضية خطيرة، لا سيما في هذا العهد، أعني عهد العولة وعهد الاختلاط، اختلاط الأفكار والمذاهب والأديان، حيث توجد الآن في كل غرفة كل الأفكار وكل الأديان وكل

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ٩٥ ب ٢٠ ح ١٠، عن كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق.

(٢) الزّوان هو ما يخالط الخنطة ومفرده: زؤنة.

(٣) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١٠١-١٠٢ ح ٣، عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي.

(٤) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١١٣ ب ٢١ ح ٢٦، عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي.

الاتجاهات، فإذا غفل الإنسان قليلاً ينتهي، «فإن الله في أديانكم لا يُزيلنكم عنها أحد، يا بُني إنه لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة إنما هي محنة من الله امتحن بها تعالى خلقه».

الرواية الأخرى: (رقم ٢٨) عن جابر الجعفي: قلت لأبي جعفر - أي الإمام الباقر عليه السلام - متى يكون فرجكم؟ قال: «هيهات هيهات - كأن معنى هيهات بُعدت - لا يكون فرجنا حتى تُغربلوا ثم تُغربلوا ثم تُغربلوا حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو»^(١).

فلسفة البطون والغيبة

هنا توجد ملاحظة مهمة في امتحانات الغيبة، حيث يوجد اختلاط عجيب بين عنصرين: عنصر البطون وعنصر الظهور، أو عنصر التجلي وعنصر الاختفاء، أو عنصر الغيبة وعنصر الوضوح، إنه خليط عجيب، ربما يعالج هذا المطلب بعض الإشكالات التي ربما وردت في بعض الأذهان، فمن جانب بطون كامل، ومن جانب آخر ظهور كامل، ولكن لماذا البطون للامتحان، ولماذا الظهور الكامل؟ لتتم الحجة على العباد، بمعنى لماذا الاختفاء؟ للامتحان، ولماذا التجلي؟ لتتمام الحجة، لأن الله تعالى لا يترك عباده بل يتم عليهم الحجة، ولكن إذا يذهب الإنسان

(١) بحار الأنوار: ج ٥٢ ص ١١٣ ب ٢١ ح ٢٨، عن كتاب الغيبة للشيخ الطوسي.

وراء الحجة، فهل الآخرة غيب أم شهود؟ أيهما الجواب؟ وهل أن الله تعالى قبل الآخرة غيب أم شهود؟.

الجواب: إن الله تعالى غيب وشهود في آن واحد، فهو سبحانه غيب من جانب ويمتحن العباد بهذا الغيب، وهو حقاً امتحان مهم، ومن جانب آخر شهود «عميت عين لا تراك»^(١) لأن الله تعالى متجلٍ بقدرته في كل ورقة شجرة.

ذلك العالم في المختبر يقول: (رأيت الله، عظمة الله، وجود الله، صفات الله، تتجلى في كل ذرة من هذا الكون). إن هذا يدل على اختلاط عجيب «يا باطناً في ظهوره يا ظاهراً في بطونه»^(٢)، فالبطون يمثل امتحان والظهور يمثل تمام الحجة، فهل الآخرة غيب أم شهود؟ إذا كانت الآخرة شهوداً لا يتحقق الامتحان، كما لو أن شرطياً واقف أمامكم، فإذا وضع الله تعالى جهنم ظاهرة أمامنا، وكل من يعمل معصية تأخذه الملائكة فوراً وترميه في جهنم! فهل كان سيتم الامتحان؟ كلا أبداً، فجهنم غيب ولكن الجنة والجحيم واضحتان في الوقت نفسه لمن يريد أن يراهما، أي إذا لم يغمض الإنسان عينيه، أما إذا لا يريد أن يرى ذلك فيقول: هل رأيتم

(١) مقطع من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام.

(٢) إقبال الأعمال: ج ١ ص ٣٨٢ ب ٢٧ في دعاء الإمام الحسن بن علي عليه السلام في ليلة

القدر، ولكن عنه العلامة المجلسي في بحار الأنوار: ج ٩٥ ص ١٦٥ ب ٧ دعاء علي بن

الحسين عليه السلام في ليلة القدر.

أحداً خرج من قبره (مهشم الرأس)؟ وهذا مثال معروف، أو ذلك الرجل الذي جاء وأخذ العظم وقال: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١).

لاحظوا في الآخرة، هنالك خلط العنصرين بشكل عجيب، فالآخرة واضحة مائة بالمائة لمن يفتح عينيه، حيث كل البراهين العقلية والنقلية والوجدانية، أي البرهان والوجدان والقرآن كلها تؤدي إلى الآخرة بوضوح، لكنها تبدو من جانب آخر باطنة، وهنا يظهر الامتحان، ولعله - والله أعلم - أن معنى الآية الكريمة حيث يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٢) إذ يقول البعض: (تعني مفردة) ﴿أَكَادُ﴾ أريد أن أخفيها^(٣)، ولكن لماذا أخفى الله الآخرة؟ لعل معنى الآية: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ فإذا كانت الآخرة ظاهرة لكان الكل متقين ومؤمنين، وهذا الامتزاج العجيب نفسه بين البطون والظهور موجود في قضية المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، ففي الوقت الذي يكون فيه الإمام المهدي ملوثاً بالله غائباً عن الأكثرية حيث لا يرون الإمام المهدي ﷺ، ولكن في الوقت نفسه إذا أراد أحدهم الحقيقة يمكنه الوصول إليها، وإذا لا يريدوها فسوف يشكك

(١) سورة يس: ٧٨.

(٢) سورة طه: ١٥.

(٣) انظر (الأمالي، للسيد المرتضى): ج ٢ ص ١٢.

حتى في وجود الله تعالى.

إذن، إذا أراد الإنسان الحقيقة فأن قضية الإمام المهدي واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار، ولا يوجد أي مجال للتشكيك فيها، فقد أتم الله الحجة، لكن إذا أراد أحدهم أن يغالط نفسه ووجدانه، نعم يوجد مجال للإنكار كما يوجد مجال للإنكار الآخرة وكما يوجد مجال لإنكار الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١) نعم يوجد مجال، لأن هذه هي طبيعة الدنيا، فلا بد أن يمتحن الإنسان.

أذكر لكم هنا ما قرأته في مقالة، ولو أن هذا يقع خارج بحثنا، لكنني سأذكر لكم هذا لكي تلاحظوا أن الإنسان إذا أراد أن يعرف الحقيقة سيصل إليها وإذا أراد أن يغالط نفسه يمكنه ذلك أيضا سواء في قضية الإمام المهدي أو في غيرها، لقد قرأت قبل مدة ما يقوله الكاتب: أنا مؤمن بالله ولكن ليس لدي دليل على وجوده، عجيب!! ويقول أيضا: إن من يؤمن بالله ليس لديه دليل على وجوده، ومن يكفر بالله ليس لديه دليل على وجوده أيضا! إنها قضية ذوقية، بهذا الشكل.

تدل على أنه واحد^(٢)

وفي كل شيء له آية

(١) سورة إبراهيم: ١٠.

(٢) من شعر أبي العتاهية وهو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سويد بن

ولكن إذا أراد الإنسان أن يغالط نفسه فيوجد مجال لذلك، هذه القضية حدثت في شهر رمضان المبارك حيث نشرت إحدى الصحف تلك المقالة، هنا أريد أن أبين كيف يمكن أن يوجد في عين البطون ظهور كامل ولكن لمن يفتح عينه؟ كان عنوان المقالة - لا أتذكر الصحيفة أو مكانها - عن اثني عشر خليفة من قریش، فهذه الرواية المحيرة (داخ) فيها الآخرون، من هم هؤلاء الإثنا عشر؟ لقد ذكر البخاري هذه الرواية، وأنتم طبعاً تعتقدون بالبخاري^(١) وهو أصح كتاب لديكم بعد كتاب الله، فرواية اثنا عشر خليفة موجودة في البخاري (باب الاستخلاف)^(٢) وهي موجودة في مسلم (كتاب الإمارة)^(٣)، وسنكتفي بهذا ناهيك عن

► كيسان العنزى الكوفي ولد سنة ١٣٠هـ بعين التمر، وتوفي سنة ٢١١هـ وقيل: غير ذلك، وكان من الشعراء الفحول ويعد من طبقة بشار وأبي نواس والسيد الحميري وكان من المكثرين في النظم.
(١) المخاطب بهم هم أبناء العامة.

(٢) روى البخاري: ج ٨ ص ١٢٧ باب الاستخلاف من كتاب الأحكام عن جابر بن سمرة: سمعت النبي يقول: «يكون اثنا عشر أميراً»، فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قریش».

(٣) روى مسلم بأسانيد عدة عن جابر بن سمرة بألفاظ متعددة والمعنى واحد فقد جاء فيها: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة» أو «لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم اثنا عشر رجلاً» أو «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» أو «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثني عشر خليفة» أو «

بقية الكتب، يقول كاتب المقالة الذي يريد أن يغمض عينيه: (أخبر النبي صلى الله عليه وآله) - وآله طبعاً مني - أنه سيكون من بعدي اثنا عشر خليفة من قريش، فعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «يكون بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»، قال: ثم رجع إلى منزله فأتته قريش فقالوا: ثم ماذا سيكون؟ قال: «ثم يكون الهرج»^(١) - كما ينقل الراوي - حسناً، يريد كاتب المقالة أن يفسر هذه الرواية فيقول: (تحققت نبوءة رسول الله، اثنا عشر خليفة - لاحظوا التفسير - حيث كان بعده اثنا عشر خليفة، أحصوهم: إنهم الخلفاء الأربعة الأوائل، وهؤلاء متفق عليهم، والخامس سيدنا الحسن والسادس معاوية والسابع ابنه يزيد، - الذي يقول عنه (رضي الله عنه) - هؤلاء الذين - كما جاء في روايات أخر في مسلم وغيره - يقوم بهم الدين، لا يزال الدين عزيزاً منيعاً بهم - وغيرها من هذه الأوصاف - والثامن حفيده معاوية بن يزيد أو معاوية الثاني، والتاسع عبد الله بن الزبير، لماذا؟ لأنه حكم مكة

► «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة» أو «لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة» وفي كل هذه الرواية لفظ: «كلهم من قريش»، انظر (صحيح مسلم): ج ٦ ص ٣-٤ كتاب الإمامة باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش.

(١) مسند أحمد: ج ٥ ص ٩٢ حديث جابر بن سمرة، سنن أبي داود: ج ٢ ص

٣٠٩ ح ٤٢٨٠ وح ٤٢٨١، وغيرها من المصادر.

لمدة من الزمن، والعاشر مروان بن الحكم، والحادي عشر عبد الملك بن مروان، والثاني عشر هو الوليد بن عبد الملك، وعددهم اثنا عشر خليفة، وقد توفي آخرهم الوليد بن عبد الملك سنة ٩٦ للهجرة) وفي بقية الرواية، ثم يكون من بعد ذلك الهرج، فمتى حدث الهرج وأين؟

إنه يريد أن يطبق الحديث، فيقول: (ووقع بعد ذلك بست وثلاثين سنة هرج وقتال شديد إبان انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس)، لكن أين صار البقية؟ إذ لم يكتمل العدد اثنا عشر خلال مدة الستة وثلاثين عاماً، فكيف قفزتم على هذه المدة؟ فأنتم وصلتم إلى الوليد وهو الثاني عشر، طيب من هو الذي جاء بعد الوليد؟ جاء بعده سليمان بن عبد الملك وبعده جاء عمر بن عبد العزيز وبعده جاء يزيد بن عبد الملك وبعده جاء هشام بن عبد الملك وبعده جاء الوليد بن يزيد بن عبد الملك وبعده جاء يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ثم جاء إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك، ثم جاء مروان بن محمد، ثم حدث الهرج والمرج خلال الثورة العباسية ضد الأمويين، فكم خليفة كان على النبي ﷺ أن يقول في الحديث؟: يكون بعدي عشرون خليفة، أي إلى مروان، ثم يكون الهرج، لكنه يقفز لأن ليس هنالك حل آخر للكاتب، إذ يقول: اثنا عشر خليفة، أي بلغ بهم إلى الوليد، ثم وقع بعد ذلك بست وثلاثين

سنة ومع هذه الطفرة هنالك هرج وقاتل وشديد إبان انتقال الخلافة من بني أمية إلى بني العباس!! إنه لا يريد أن يعترف بالحقيقة، لأن هذا الحديث ليس له إلا تفسير واحد، وهو حديث الأئمة الإثني عشر الموجود في البخاري وفي مسلم وفي مسند أحمد وفي كتب المسلمين من الفريقين، فليس له أي تفسير آخر.

ويمكنكم أن تبحثوا الكرة الأرضية حول هذا، لاحظوا ما قاله علماءهم، إذ ليس لديهم أي تفسير لذلك يضطرون لكي يلتفون على الحديث.

والآن جربوا واسألوا عشرة من علمائهم عن معنى حديث الأئمة الإثني عشر، فكل واحد منهم سيقول تفسيراً مختلفاً^(١)،

(١) قالوا في تفسيره جملة كبيرة من التفسيرات، منها:

١. الولاية من يستحق الخلافة من أئمة العدل وقد مضى أربعة ولا بد من إتمام العدة قبل قيام الساعة.

٢. يشترط أن يكونوا في زمن واحد يفترق الناس عليهم وقد وقع في المائة الخامسة في الأندلس فادعى الخلافة فيها فقط ستة أنفس فضلاً عن الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي وغيرهم من العلوية والخوارج.

٣. الإثنا عشر في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة، وقد اجتمعوا إلى زمن الوليد بن يزيد، ويكون الخلفاء على هذا الرأي الثلاثة (وأمر المؤمنين عليه السلام) ثم معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان وأولاده الوليد ثم سليمان وعمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام والثاني عشر هو الوليد بن يزيد.

وكيف تحقق هذا الهرج الذي تقولون به؟

إذن لو كان لدينا هذا الحديث فقط لكان كافياً في إثبات الإمام المهدي عليه السلام، فكيف إذا كان لدينا آلاف الأحاديث.

٤. الإثنا عشر كلهم من بني أمية ماعدا عثمان ومعاوية ومروان فمن يزيد بن معاوية إلى مروان الحمار.

٥. الإثنا عشر يكون بعد ظهور المهدي.

٦. الإثنا عشر حسب الترتيب ماعدا من لم تصح ولايته ولم تطل مدته وهم: الثلاثة (وأمر المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام) ومعاوية ويزيد بن معاوية وابن الزبير وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان ولداه وعمر بن عبد العزيز حفيده.

٧. هم الثلاثة (وأمر المؤمنين عليه السلام) وعمر بن عبد العزيز وبعض بني العباس ومنهم المهدي المبشر بالروايات.

٨. هم إما بالتتابع فيبدأ من الثلاثة (وأمر المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام) ومعاوية ويزيد بن معاوية ومعاوية ابنه ومروان وعبد الملك ابنه والوليد وسليمان وإما بالمعنى فهم الأربعة وعمر بن عبد العزيز وتوقف في البقية.

٩. الثلاثة (وأمر المؤمنين والإمام الحسن عليه السلام) ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز ويحتمل شمول المهدي العباسي والظاهر العباسي ويبقى اثنان أحدهما المهدي والآخر لا يعلمه.

١٠. من اجتمعت الأمة عليه فهم الثلاثة ومعاوية ويزيد ابنه ثم عبد الملك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد.

(علماً بأن ما سبق ذكره لم يتجاوز ذكر الأقوال، ولم تتم مناقشتها للاختصار ولأنها من السخف بمكان تنقض نفسها بنفسها).

ذكر المرجع المعروف الشيخ الصافي ^(١) (حفظه الله) مجموعة من هذه الأحاديث في كتابه، وذكر السيد العم ^(٢) (حفظه الله) في كتابه (المهدي عليه السلام في القرآن) و(المهدي عليه السلام في السنة) مجموعة من هذه الأحاديث، ولكن دعك عن تلك الأحاديث، فهذا الحديث وحده كافٍ. إذن فقضية الإمام المهدي صلوات الله عليه في عين بطونها، هذا البطون الذي جعله الله للاختبار وللامتحان الذي يمتحن الجميع به، وفي عين الوقت هذه القضية واضحة تمام الوضوح.

امتحان الغيبة يُظهر الكوامن

وفي بعدٍ آخر كما كانت القضية واضحة فيما يخص بني إسرائيل، ولكن من يريد أن لا يرى الحقيقة، فإن امتحان الغيبة يُظهر الكوامن، وإذا بأحدهم يذهب إلى الدرك الأسفل وآخر، إذا حفظ إيمانه يتحول إلى أعلى عليين.

إن المؤمنين في زمان الغيبة لهم ثواب فوق ما نتصور، لاحظوا

(١) المرجع الديني آية الله العظمى لطف الله الصافي الكلبايكاني رحمته الله من المراجع الدين المعاصرين في مدينة قم المقدسة ولد سنة ١٣٣٧ هـ درس عند كبار الفقهاء في عصره منهم السيد الكلبايكاني والسيد حسين البروجردي، له عدة مؤلفات فقهية وغيرها ومن أهمها كتابه (منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر) وقد جمع فيها كل ما يرتبط بأحاديث الإمام المهدي من أكثر من ستين مصدراً من كتب العامة (هداهم الله تعالى) وأكثر من تسعين مصدراً من كتب الإمامية (أعزهم الله تعالى).

(٢) المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي (دام ظله) وقد مرت ترجمته لمراجع.

عوامل نجاح غيبة الإمام المهدي المنتظر

عجل الله
فرجه الشريف

٣

في المحاضرة السابقة دار الكلام
حول السبب الكامن وراء غيبة الإمام
المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه وكيف
يمكن تفسير هذه الغيبة المحيرة؟ وذكرنا
إن هذا السؤال لا يختص بغيبة الإمام
المهدي عليه السلام بل يعم غيبة كثير من
الأنبياء والأولياء، فلماذا غاب نبي الله
موسى عليه السلام أربعين ليلة؟ ولماذا غاب
نبي الله المسيح ابن مريم عليه السلام حوالي
ألفي عام؟ ولماذا غاب ذو النون عليه السلام
في بطن الحوت أربعين يوماً؟ ولماذا
غاب أهل الكهف ثلاثمائة سنة وازدادوا
تسعاً؟

إن الإمام المهدي
عليه السلام هو الذي يحقق
الحلم الذي كانت تحلم
به جميع الرسالات
الإلهية، وهو إقامة دولة
العدل.
الفقيه الشيرازي

الإجابة الرابعة:

وفي هذه المحاضرة سنطرح الإجابة الرابعة، وقد ذكرها بعض مراجع التقليد الماضين قبل حوالي ثلاثين عاماً، وسنحاول أن نوضح هذه الإجابة كإجابة محتملة عن السؤال المذكور سلفاً، فنقول: إنَّ غيبة الإمام صلوات الله وسلامه عليه من العوامل والأسباب التي تهيمُّ الأجواء العامة لنجاح الحركة، وبداية ينبغي أن نعرف أن النجاح على نحوين:

النحو الأول: النجاحُ بمنطق المعادلات الغيبية.

النحو الثاني: النجاحُ بمنطق المعادلات المادية.

إنَّ النجاحُ بمنطق المعادلات الغيبية هو مضمون للحركة الإلهية في كل تقدير، حيث لا يمكن أن يتطرق الفشل إلى الحركة الإلهية، كذلك كل عمل نعمله لأجل الله لا يمكن أن يتعرض للفشل، يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: ﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾^(١) فالانتصار حسنى والشهادة في سبيل الله حسنى أيضاً، فإذاً سيكون المؤمن المجاهد بين إحدى الحسينين.

قال (عمرو بن ود) لعلي أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أما خاف ابن عمك حين بعثك إليّ أن أضربك برحمي هذا فأجعلك معلقاً بين السماء والأرض لا أنت حي ولا أنت ميت.

(١) سورة التوبة: ٥٢.

فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه كما جاء في البحار: «لقد علم ابن عمي أنك إن قتلتي فأنا في الجنة وأنت في النار وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة». فقال عمر بن ود: كلتاها لك يا علي، تلك إذاً قسمةً ضيزى^(١).

فإذا كان المؤمن حاكماً على كل الكرة الأرضية فهذا نجاح له، وإذا كان مبعوضاً تحت سنابك^(٢) الخيول فهذا نجاح له أيضاً ما دام سائراً في خط الله، إذاً فلا يتطرق الفشل للحركة الإلهية بمنطق المعادلات الغيبية أبداً، ولذلك ينبغي أن يعرف المؤمن الحقيقي أن كل شيء يعمل له الله ولأجله تعالى مهما كانت نتائجه فهو ناجح وفق كل تقدير.

ولكن هنالك نجاح آخر وهو النجاح بمنطق المعادلات المادية، أو ما يُسمى بالنجاح الظاهري، والمقصود في العنوان هو المعنى الثاني للنجاح وليس المعنى الأول، إن تهيئة الأجواء العامة لنجاح الحركة، تعني النجاح المادي مضافاً إلى النجاح الغيبي.

بعد هذه المقدمة نطرح السؤال الآتي: هل تحتاج حركة النبي أو الوصي أو الولي إلى وجود أجواء توفر له النجاح بمنطق

(١) انظر (بحار الأنوار): ج ٢٠ ص ٢٢٦ ب ١٧ ضمن ح ٣، عن كتاب تفسير

القمي، وقسمة ضيزى: أي قسمة جائزة.

(٢) السنابك جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر.

المعادلات المادية، أم أن الولي أو النبي يقوم بالحركة مهما كانت النتائج، فلا تهمنا النتيجة وإنما أداء الوظيفة، إننا غالباً ما نقول ليس لنا شأن بالنتيجة بل علينا بالوظيفة، فهل يحتاج النبي أو الوصي أو الولي إلى تهيئة الأجواء العامة لضمان نجاح حركته الإلهية؟.

يبدو أن الإجابة عن هذا السؤال ترتبط بطبيعة المهمة التي أنيطت بالنبي أو الولي، فما هي هذه المهمة؟ فإذا كانت المهمة هي إقامة الحجة فقط، حيث يأتي النبي لئلا يكون للناس حجة على الله، إن إقامة الحجة لا تحتاج إلى تهيئة الأجواء العامة للنجاح بمنطق المعادلات المادية، لأنها تتم بإبلاغ الدعوة، مهما كانت النتيجة فالنتيجة الظاهرية غير مهمة.

ولكن إذا كانت المهمة التي أنيطت بالنبي أو بالولي مصحوبة بتضحية تهز وجدان الأمة وتوقظها من نومها العميق، فلا يحتاج في هذه الحالة إلى تهيئة الأجواء العامة، فإن الولي يقوم بهذه العملية ذات التضحية الكبيرة مهما كانت النتائج.. لصالح إقامة الدولة، أو الشهادة.

لكن - دقق في هذه النقطة - إذا كانت المهمة التي أنيطت بالولي هي إقامة دولة العدل التي تعم الكرة الأرضية كلها، وتبقى إلى ما شاء الله، ألا يحتاج القيام بهذه المهمة إلى تهيئة أجواء عامة

للتجاح في هذا الهدف؟ وهل يوجد بديل عن تهيئة الأجواء العامة؟
الجواب: نعم، يوجد هنالك بديل، وهو تحكيم منطق
القوة، أو منطق الفرض، فإذا كانت الأجواء العامة غير مهيئة لمنطق
الفرض، فالنتيجة الطبيعية هي الرفض.

وهناك قاعدتان للفرض:

القاعدة الأولى: إنَّ الفرض غير دائم، فإذا كان للشيء
المعرض للفرض طبيعة معينة وحصل عامل ضغط خارجي خلاف
طبيعته، فهذا الضغط لا يكون دائماً، حيث طالما أنَّ عامل الضغط
القسري القاهر موجودٌ فإنه سيعيق الشيء عن حركته الطبيعية،
ولكن بمجرد أن يزول الضغط يعود الشيء إلى حالته الأولى، بل
يقول العلماء في الحكمة أن القسر لا يكون أغلبياً.

ويمثل العلماء بمثال معروف هو: إن طبيعة أي حجر هي
الإنشداد إلى الأسفل بفعل الجاذبية الأرضية، فلو رمينا الحجر إلى
الأعلى بالقوة وبالضغط سيرتفع إلى الأعلى، إنَّ الحجر هنا يعاكس
طبيعته الأولى، لماذا؟ لأنه يوجد عامل ضغط يرفعه إلى الأعلى
وسيرتفع الحجر ما دام الضغط موجوداً، ولكن بمجرد ما ينتهي
الضغط ويزول يعود الحجر إلى طبيعته الأولى ويهبط إلى الأسفل.

ولذلك فإن الضغط غير دائم في عمق الزمن، وليس أكثرياً
كما يقول العلماء، فلو تم فرض نظام ما على مجتمع لا يريد ذلك

النظام وغير مقتنع به، فالمجتمع سيقاوم، وقد رأينا تجارب كثيرة في التاريخ عن ذلك، حيث يقاوم المجتمع بمختلف أنواع المقاومة، هذا من جانب.

ومن جانب ثانٍ، إذا أردنا أن نقيم دولة العدل، والنخبة المتنورة فئة محدودة، فكيف تقام دولة العدل والحق إذا كانت غالبية الأمة غير مهية لذلك، ولنفرض أن هذه الدولة دامت وبقيت، وحاكمها الأعلى متقٍ إلى أبعد الحدود، ولديه عشرة أو عشرون أو ثلاثون أو مئة من أعوانه، وهؤلاء قمة في التقوى والإخلاص والأخلاق، ولكن تبقى الدولة دائماً وكما يقول العلماء مؤسسة صغيرة في بحر، فإذا كان جميع الموظفين غير مهيين، وجميع الوزراء والمدراء كذلك، فمن الذي يدير الدوائر؟ إنه الموظف الذي يسيّر معاملات المواطنين، ولكن إذا كان هذا الرجل غير مهياً لذلك فسيظلم الناس.

لماذا رفض الإمام الصادق (صلوات الله عليه) الحكم كما ذكر التاريخ؟ لو قيل للمؤمن: تعال، وكن حاكماً على الدولة الكافرة؛ وزراؤها ومدراؤها وموظفوها كلهم كفار، ما الذي استطيع أن يعمل في مثل هذه الدولة؟ لقد بعث أبو سلمة الخلال^(١) - في الظاهر

(١) حفص بن سليمان الهمداني الخلال الكوفي المكنى بأبي سلمة وهو أول من

لقب بالوزارة الملقب بوزير آل محمد، وكان من الداعمين لثورة العباسيين ◀

- مكتوباً للإمام الصادق عليه السلام وقال فيه: تعال، وكن أنت قائداً للدولة العباسية، ولنفترض أن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) صار قائداً للدولة العباسية حيث إن جميع وزرائها ومدراؤها وموظفيها غير مهيّئين لإقامة العدل والحق وحكم الله، فكيف سيحكم الإمام دولة كهذه؟

ولذلك اخذ الإمام الصادق (صلوات الله عليه) تلك الرسالة، وكان هنالك سراج مُضاء فوضعها عليه فاحتقرت، فسأل المبعوث الإمام (صلوات الله عليه) ما هو جوابك؟ فقال له الإمام عليه السلام: «هذا، هو الجواب»^(١).

إن أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) كان بإمكانهم أن يحكموا في بعض المراحل التاريخية، ولكن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) رفض أن يكون حاكماً، لأن الحكم في حد ذاته لم يكن هدفاً له، لأنه إذا أصبح حاكماً في تلك الدولة، فهذا يعني إبدال فرد بفرد، وسيبقى النظام كما هو، وعندما أُجبر الإمام الرضا (صلوات الله عليه) على ولاية العهد، شرط أن لا يتدخل في أي أمر من الأمور، ربما كان لا يستطيع أن يعمل في مثل نظام المأمون لأنه محاصر.

«بالأموال وغيرها، توزر للسفاح أول خليفة عباسي واستمر بعمله أربعة

أشهر ثم قتل بعدما علموا ميله لأهل البيت عليه السلام».

(١) راجع (بنايع المودة): ج ٣ ص ١٦٠-١٦١.

ولذلك لابد أن تكون الأجواء العامة مهيأة، إن الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) هو الذي يحقق الحلم الذي كانت تحلم به جميع الرسالات الإلهية، وهو إقامة دولة العدل، ومن أجل تحقيق مثل هذا الهدف هناك حاجة إلى تهيئة عامة، حيث تحتاج البشرية الوصول إلى درجة تتقبل فيها مثل هذا الحكم، إذن الإجابة الرابعة هي تهيئة الأجواء العامة لنجاح الحركة الإلهية.

كيف تتهيأ الأجواء العامة؟

لكي يظهر الإمام (صلوات الله عليه) لابد أن تكون الأجواء العامة مهيأة لذلك، فكيف تتهيأ الأجواء العامة؟
إن الجواب عن ذلك يأتي في كلمة واحدة، لعلها تمثل جواباً أو جانباً من الجواب، وهو الشعور بالضعف والعجز والانقطاع، إن هذا يعد بمثابة مقدمة للتهيؤ العام، وسنأتي بمثالين أحدهما فردي والآخر على صعيد الأمة.

المثال الفردي:

إن الله سبحانه وتعالى خلقنا: ﴿مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾^(١)، فالإنسان في شبابه يتميز بحالة من الغرور والاعتماد على ذاته وقوته وقدرته وطاقته،

(١) سورة الروم: ٥٤.

ولكن شيئاً فشيئاً يجعل الله سبحانه وتعالى الحياة بصورة تصفع هذا الشاب، فكلما تقدم به العمر وإذا بالضعف والعجز يسري إليه، إن الضعف والفقر موجودان في الإنسان منذ البداية، ولكن المشكلة أن الفرد لا يشعر بهما، على العكس من أولياء الله سبحانه وتعالى حيث يشعرون منذ البداية بالضعف والفقر، ولذلك يتميزون بحالة انقطاع إلى الله سبحانه وتعالى في أيام شبابهم.

لكن المشكلة بصورة عامة تتعلق في الشعور والإدراك؛ وإلا ما أضعف وأفقر البشر لكنه لا يشعر، فالشاب يحتاج إلى صفة، وهناك بعض الأفراد في حالة نوم ولا ينتبهون فلا بد من أن يصفعوا لكي ينتبهوا، حيث الأمراض والمشاكل الاجتماعية والمعوقات تلم بهم من كل جانب، أما الشاب فهو يقاوم المشكلة ويقاوم المرض أيضاً، ولكن شيئاً فشيئاً يبدأ باليقظة ويتنبه حتى يصل إلى منتهى درجات الضعف.

هنالك بعض كبار السن لا يتمكن من تناول حتى الأكل أو الحركة، ولا يستطيع فتح عينه في بعض الأحيان، بل لا يستطيع التنفس مع أننا لا نشعر بقيمته، ولكي يتنفس فقط فإنه يحتاج إلى جهاز يُسلط عليه ويضخ الهواء إلى رئته، وحين نذهب أحياناً إلى المستشفى نرى أمثال هؤلاء فنرى مستقبلنا أيضاً، باستثناء أن يموت الإنسان فجأة، وإلا فمسيرة حياة الإنسان الطبيعية تذهب به من

ضعف إلى الضعف حتى يصل إلى منتهى درجات الضعف، لماذا؟
 إن الله سبحانه وتعالى سلط علينا هذه الحالة نحن البشر،
 حتى نشعر بضعفنا، إذن هذه نعمة من نعم الله علينا، طبعاً يختلف
 الأفراد في تعاملهم مع هذا الأمر، فبعضهم من يتنبه بسرعة
 وآخرون يتنبهون ببطء وغيرهم قد لا يتنبهون إلى النهاية، فعلى
 الإنسان أن يشعر بأنه ضعيف وعاجز، كما في الأدعية حيث يوجد
 إلفات نظر عجيب، لنقرأ الأدعية المختلفة بهذا المنظار، فإنها تلفت
 إلى أنك أيها البشر ضعيف فقير بائس إلى أبعد الحدود، ومسكين
 مستكين لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً.

هناك تركيز في الأدعية على معنى الضعف البشري، فعندما
 يشعر الإنسان بالضعف يلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يعتمد
 بعدُ على قوته وحوله، وإنما يبرأ منهما، ويلجأ إلى قوة الله وحوله،
 فحين نقول كلمة: لا حول ولا قوة إلا بالله، نعني أننا لا نملك أي
 شيء، إذن هناك تركيز على هذا المعنى، أي التحول من حالة إلى
 حالة.

فربما يكون الإنسان جالساً لكنه فجأة لا يتمكن من الوقوف
 إلا بقوة الله، فهذه هي قدرة الله وإرادته سبحانه التي أعطت
 للإنسان القوة والإرادة، في تلك اللحظات يشعر الإنسان بالضعف
 والفاقة والفقر ويلتجئ إلى الله سبحانه وتعالى، فمثل هذا الشعور

مهم جداً لأنه يهيم الأرضية لنزول الرحمة الإلهية على الإنسان.

جاء في الحديث: «شيوخُ خشع أو رُكع»^(١) فالشيوخ الخشع أو الركع لهم أهمية معينة، ينقل لنا أحد الخطباء الكرام حفظهم الله قضية عن فرعون، يقول فيها: إن فرعون ذهب إلى الله سبحانه وتعالى وقال: يا الله إن النيل قد جفّ وتوقف جريانه^(٢)، وقد ذهب فرعون إلى الصحراء ووضع الأغلال في عنقه وبديه وهو يبكي ويتضرع إلى الله سبحانه وتعالى من الليل حتى الصباح، قد يعلق احد فيقول: وإذا جاء باكياً، قد يأتي فقير باكياً أو طفل يبكي وما أهمية ذلك؟ ولكن لنفترض أن هذا الطفل كان مسيئاً لكنه جاءكم الآن باكياً، فماذا ستفعلون أمام بكاء طفلكم؟

(١) الكافي: ج ٢ ص ٢٧٦ باب الذنوب ح ٣١، وفيه: عن أبي الحسن عليه السلام قال: «إن لله عز وجل في كل يوم وليلة منادياً بنادي: مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله فلولا: بهائم رُكع، وصبيّة رُضع وشيوخ رُكع لصُب عليكم العذاب صباً ترصّون به رضاً».

(٢) انظر (علل الشرائع): ج ١ ص ٥٨ ب ٥٣ ح ١، وفيه: (غار النيل على عهد فرعون .. قال: اخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه فالصق خده بالأرض وأشار بالسبابة، وقال: اللهم إني خرجت إليك خروج العبد الدليل إلى سيده وإني أعلم أنك تعلم أنه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فأجره..).

المثال الثاني: على صعيد الأمة

هنالك أمة كتب الله سبحانه وتعالى العذاب عليها، لأنهم لم يعتنوا بنبیهم، فكم عاماً أنذرهم هذا النبي وبلغهم لكن من دون فائدة، فتركهم النبي ﷺ وجاءهم العذاب حتى وصل إلى أيديهم، بمعنى صار قريباً منهم، وقد أنذرهم النبي ﷺ ونبههم من هذا العذاب، فركضوا إلى عالمهم الذي يقال له: (روبيل) وسألوه: ماذا نفعل؟ فقال لهم: اذهبوا إلى الصحراء وتفرقوا فيها فالعذاب قادم، ففرقوا بين النساء والرجال وبين النساء وأطفالهن وليكن كل منهم مفترقاً عن الآخر وفرقوا بين البهائم وصغارها.

مضوا إلى الصحراء وتضرعوا إلى الله سبحانه، الأطفال والأمهات يبكين والبهائم الصغار تبكي أو تتضرع، فرحم الله سبحانه وتعالى ضعفهم وعجزهم، وقد قال الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا أَمْنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾^(١) فقد رحمهم الله تعالى لضعفهم بعد أن التجثوا إليه وكشف عنهم العذاب ومتعهم إلى حين^(٢).

(١) سورة يونس: ٩٨.

(٢) انظر (مجمع البيان): ج ٥ ص ٢٣٠ سورة يونس: ٩٨، عن تفسير القمي بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: «... فلما كان اليوم الذي نزل بهم العذاب»

إنَّ بعض الناس يعيشون حالة غرور فيشعرون أنهم لا يحتاجون لأحد، وعندما لا يشعر الإنسان بالاحتياج سيتضاعف لديه الغرور، كما لو أنَّ مريضاً يحتاج إلى دواء ولكنه لا يشعر بحاجته هذه .. هنا سوف يستفحل المرض حتى يصل إلى مرحلة الشعور بأنه لا بديل له إلا الرجوع إلى الطبيب، وسوف يعمل بأي شيء يوجهه به.

لقد علّم العالم (روبيل) أولئك القوم الذين ينتمي إليهم، فنادوا الله سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١) يقولون: إننا سننتهي من الوجود، و ستصل البشرية إلى هذا الشعور وإلى هذه المرحلة.

ففي يوم ما كانت البشرية تعيش غرور الشيوعية ولعلّ كبار السن عايشوا هذه الفترة، جاءت الشيوعية بإعلامها وقوتها وقنابلها الذرية التي يمكن أن تدمر الكرة الأرضية أكثر من مرة، ليس في بلاد الغرب فقط بل حتى في بلادنا، كم مليوناً وكم مائة مليون خُدعوا بهذا السراب الكاذب، فبعد ثمانين عاماً وإذا بالزيف ينكشف، ولكن بعد ذلك الدوي والبريق للشيوعية فقد انحسرت بل انتهت،

► قال لهم العالم (روبيل): افزعوا إلى الله فلعله يرحمكم، ويرد العذاب عنكم فاخرجوا إلى المفازة (الصحراء) وفرّقوا بين النساء والأولاد وبين سائر الحيوان وأولادهم ثم ابكوا وادعوا. ففعلوا فصرف عنهم العذاب وكان قد نزل بهم ٥٠٠ .

(١) سورة الأعراف: ٢٣.

ومن يقول الآن: أنا شيوعي سينظر له بامتهان، لقد انتهى كل شيء ولم يعد لهم أمل.

لكن ماذا خلّفت الشيوعية بعدها؟ لقد خلّفت الرأسمالية بشعاراتها وقوتها التي ربما لم تُنحَ لِفئةٍ أخرى في التاريخ، وشعاراتها البراقة التي خدعت بعض شبابنا حين رأوا هذه الشعارات من بعيد، كالحرية والديمقراطية، إنّ المريض الذي لا يريد أن يراجع الطبيب ماذا يفعلون معه؟ في حالة كهذه سيأتي الطبيب يجبره ويفرض عليه الدواء.

في الآية التي تلي الأولى من سورة يونس يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾^(١) لا يمكن الإكراه، لأن سنة الله لم تقم على الإكراه، ولكن شيئاً فشيئاً ينكشف لنا أن الرأسمالية سراب أيضاً.

هنالك حديث مروي في (كتاب الغيبة للنعماني ص ٢٧٤)^(٢) عن

(١) سورة يونس: ٩٩.

(٢) كتاب الغيبة للشيخ الجليل أبي عبد الله محمد بن أبي إبراهيم بن جعفر الكاتب المعروف بابن أبي زينب النعماني، من شيوخ الطائفة وكان عظيم القدر شريف المنزلة صحيح العقيدة كثير الحديث والرواية وهو من تلامذة الشيخ الكليني وكاتبه والراوي عنه توفي في الشام في حدود سنة ٣٦٠ هـ وله جملة من المؤلفات من أهمها كتاب الغيبة وقد حواه المصنف بمروياته عن أهل بيت العصمة بما يتعلق بالإمام المهدي عليه السلام من ذكر النصوص على إمامته وما شابه والكتاب يحتوي على ستة وعشرين باباً وكل باب يحتوي على جملة من الأحاديث.

الإمام الصادق صلوات الله عليه وهو أحد الأئمة الذين أكثروا الحديث حول الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه يقول: «ما يكون هذا الأمر - ويقصد قيام الإمام المهدي صلوات الله عليه - حتى لا يبقى صنفٌ من الناس إلا وقد وُلّوا على الناس»^(١) فالكل حكموا، ومن كل الأصناف، فقد حكم الشيوعيون والبعثيون والرأسماليون والديمقراطيون والقوميون، لأنه لا يزال يوجد بريق في هذا المجتمع وهو لا يشعر بالحاجة على الرغم من أنها موجودة فيه.

فشل النظام العالمي

إننا حتى في بحوثنا العلمية نشعر بالحاجة، فنحن نشعر بالحاجة في كل يوم، فعندما نفتتح الكتاب ونقرأ نشعر ونقول لقد اكتفينا بهذا، ولكن عندما نخوض بالميدان مرة أخرى نشعر بالحاجة، فهل هي وظيفة وتوجب على الإنسان أن يعمل؟ ولكن ما هو الشعور بالحاجة؟ إذا أدخل ابن رجل ما في غرفة الإنعاش - إن الأمهات والآباء يفهمون ما أعني - وإن هذا الابن يعيش في حالة غيبوبة ما بين الموت والحياة، فما هي حالة الأب والأم، إنهما لا ينامان الليل ولا يمكنهما ذلك، فيقصد مسجد (جمكران)^(٢) أو

(١) كتاب الغيبة، للنعماني: ص ٢٨٢ ب ١٤ ح ٥٣، وتكملة الحديث: «حتى لا يقول قائل: إنا لو ولينا لعدلنا، ثم يقوم القائم بالحق والعدل».

(٢) مسجد يقع على مسافة (٥) كم تقريبا جنوب مدينة قم المقدسة، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى عام ٣٩٢ هـ بأمر من الإمام صاحب الزمان ﷺ.

يذهب إلى حرم السيدة معصومة عليها السلام، ويدعو ويتضرع وينهض ليصلي عند منتصف الليل، لماذا؟ لأنه يشعر بالحاجة نتيجة الخطر الذي يحيق بابه.

فهل نحن ندعو للإمام المهدي عليه السلام كما ندعو لولدنا بالمقدار نفسه، وهل ندعو للإمام عليه السلام كما ندعو لحاجة من حاجتنا الدنيوية الصغيرة، على أي شيء يدل هذا؟ فقد ندعو بالفاظ يقولها الإنسان في أي وقت، غير تلك الألفاظ التي يدعو بها الإنسان وهو يمر في حالة خطر، من جرب ركوب السفينة في عرض البحر، يعرف ما هي حالة الركاب عندما تتعرض السفينة للخطر، حيث تكون في طريقها إلى الغرق، فما هي حالة ركاب هذه السفينة؟ يقول الإمام صلوات الله عليه: «حيث لا سباحة تغنيك ولا سفينة تنجيك»^(١) بمعنى لا أمل هناك، فكيف ستكون حالة الإنسان في تلك اللحظات؟ وكيف سيكون انقطاعه إلى الله سبحانه وتعالى.

يقول القرآن الكريم: ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا

(١) انظر (التوحيد، للشيخ الصدوق): ص ٢٣١ باب معنى (بسم الله الرحمن الرحيم) ح ٣، وفيه: قال رجل للصادق عليه السلام: يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو؟ فقد أكثر المجادلون وحيروني، فقال له عليه السلام: «يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟» قال: نعم، قال عليه السلام: «فهل كسرتك حث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟» قال نعم قال عليه السلام: «فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟» قال: نعم قال الصادق عليه السلام: «فذلك الشيء هو الله القادر على الانقاذ حيث لا منجى وعلى الإغاثة حيث لا مغيث».

دَعَا^(١) هذه هي حالة الاضطراب، لا أعلم من منكم كان موجوداً بمنى في عام الحريق الذي اشتعل في المخيمات وقد أخذت حاويات الغاز تنفجر وتطير في الهواء لتحرق خيماً أخرى، إن النار لها رعب عجيب كما أن الماء له رعبٌ عجيب، لقد كنت أنا في ذلك العام بمنى، حيث التهمت النار في الخيام وفر الحجاج، بعضهم إلى الجبل، وبعضهم ذهبوا في اتجاه الخيام، وقد احترق كثير منهم، أما نحن فقد صعدنا فوق الجبل، وكنا نرى الخيام وهي تحترق ورأينا خيمتنا تحترق كذلك فأنها كانت ذات علامة مميزة.

وقد بدأ الدعاء والتضرع، يا الله اغفر لنا فلقد أخطأنا ولن نعود إلى الخطأ، لا أدري إذا كان بإمكان أحد أن يتصور حالة الإنسان وتضرعه في تلك اللحظات: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾^(٢). إننا كأفراد، ولا أقول كلنا، لم نصل إلى هذه الحالة مما يدل على أننا لا نشعر بالاحتياج، والبشرية ككل لم تصل حالة الاحتياج بعد - ولو إنها تتململ الآن - فالأنظمة الوضعية لم تقدم للبشرية إلا الدمار الذي يزداد يوماً بعد يوم، ولكن البشر بشكل عام لا يزال لم يشعر بالحاجة، وعنده أمل في غير الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة النمل: ٦٢.

(٢) سورة الأنعام: ٤٣.

يقول الإمام عليه السلام: «ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس إلا وقد وُلّوا على الناس، حتى لا يقول قائل: إنا لو وُلّينا لعدلنا» أنا لا أقول على الإنسان أن لا يدرس أو لا يعمل، فالوظيفة شيء آخر، لكن قلب الإنسان يجب أن لا يكون مشدوداً لدرجة أن الفرج يكمن في عمله، فيقول لو أننا حكمنا لكنّا حولنا الدنيا إلى جنة، فلا تفضلوا هذا القول، إن حكمتكم لحولتم الدنيا إلى جنة أم لا تحولونها، لقد حكم الشيوعيون والبعثيون والقوميون والديمقراطيون والرأسماليون، فهل لا يزال لدى شبابنا أمل في هذه الأنظمة ؟ ثم يقوم الإمام المهدي صلوات الله عليه بلفظه الآخر الذي يُقام لأجله بالحق والعدل. لقد تعب الجميع وهم يشعرون بأن لا أمل في هذه الأنظمة الوضعية التي دمرتهم وحطمتهم.

لاحظ كم بقعة من العالم تمتلئ بالقتل والتدمير في ظل النظام العالمي الحالي؟ بأي فشل هذا للنظام العالمي؟ وكم نقطة ملتهبة يغصّ بها العالم حالياً؟ ألا يدل هذا على فشل هذا النظام العالمي الذي يبشرون به؟ وإلى أين تصل مسيرته؟ فالكوارث التي يصبونها على البشرية لا تعد، ولا نعلم ما الذي يخبئه لنا القدر في ظل هذه الأنظمة الحاكمة؟

في رواية مذكورة في (كمال الدين: المجلد الثاني ص ٦٥٥) سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قدّام المهدي (صلوات الله عليه) موتان: موت

أحمر وموت أبيض»^(١)، إن هذا النظام العالمي يمر البشرية كلها نحو الهاوية: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(٢) فنحن لا نعيش حالة الأمن والنظام: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ كَذَبُوا فَاَخَذْنَاهُمْ﴾^(٣) إن الآثار الوضعية لا تفرق بل تشمل الجميع.

إن «قُدَامُ المهدي صلوات الله عليه موتان: موت أحمر وموت أبيض» فالموت الأحمر هو الحروب بالسيف، فهذه القنابل الذرية لمن هيئوها؟ لقتل البشر طبعاً، فما الذي سيحدث إذا قامت حرب عالمية ثالثة؟ لقد قتلت القنبلة الذرية الصغيرة التي ألقيها على (هيروشيما) في لحظات أكثر من مائة ألف إنسان، وقد تجرّتهم وتحولوا إلى عدم.. أما القنبلة الثانية التي ألقيها على (ناكازاكي)، فربما قتلت أكثر من سبعين ألف إنسان، والمجموع هو مائة وسبعين ألف، فماذا تفعل هذه القنابل التي صنعوها بالبشرية»^(٤).

(١) انظر (كمال الدين): ص ٦٥٥ ب ٥٧ ح ٢٧ وفيه: «قُدَامُ القائم موتتان: موت أحمر وموت أبيض، حتى يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر: السيف، والموت الأبيض: الطاعون».

(٢) سورة الأنفال: ٢٥.

(٣) سورة الأعراف: ٩٦.

(٤) في ٦ أغسطس سنة ١٩٤٥م أمر الرئيس الأمريكي (ترومان) بإلقاء قنبلة ذرية على مدينة (هيروشيما) وقد أدى ذلك إلى مقتل عشرات الآف من الأشخاص، وفي التاسع من نفس الشهر أمر كذلك بإلقاء القنبلة الأخرى على مدينة (ناكازاكي) فقتلت

إن الموت الأحمر بمعنى الموت بالسيف، أما الموت الأبيض فيكون بالطاعون، إن ابتعاد الأنظمة الحديثة والبشر عن الله تعالى هو الذي يولد هذه الأوبئة والأمراض، فكم مليون إنسان مصابون بمرض نقص المناعة المكتسبة الخطير المعدي الذي طال الملايين من الأبرياء أيضاً، وتشير الإحصائيات إلى موت خمسة من كل سبعة مصابين، بمعنى أن خمسة أسباع البشرية تنتهي على أثر هذه الأنظمة الوضعية وابتعادها عن الله سبحانه وتعالى.

جاء في (دلائل الإمامة ص ٢٤٩)^(١) عن النبي صلى الله عليه وآله :
«أبشروا بالمهدي، فإنه سيأتي في آخر الزمان على شدة زلازل»^(٢)

► كذلك عشرات الآف، فضلاً عن عشرات الآف الجرحى والمشوهين مع إبادة كل حيوان وحشرة وإلى الآن.

(١) دلائل الإمامة أو دلائل الائمة أو الإمامة أو غيرها للشيخ الجليل محمد بن جرير بن رستم الأملي أبو جعفر الصغير من أعلام القرن الخامس الهجري وكان معاصراً للشيخ الطوسي والتجاشي بل أعلى منهما طبقة، وثقه السيد ابن طاووس واعتمد على كتابه، له جملة من المصنفات منها نواذر الإمامة ونواذر المعجزات، ألف كتابه الدلائل بعد سنة ٤١١ هـ وقد جمع جملة من الأحاديث حول أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم وقد سقطت من النسخة المعتمد عليها باب أخبار أمير المؤمنين فابتدأت النسخة المطبوعة باب أخبار فاطمة الزهراء عليها السلام وانتهى بذكر أخبار الإمام الحجة عجل الله فرجه، وقد ألحق في المطبوع من الكتاب مستدركاً في أول الكتاب نقلوا فيها الأخبار التي رواها السيد ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ هـ عن نسخته التامة التي كانت عنده والمتعلقة بباب أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) دلائل الإمامة : ص ٤٦٧ في معرفة وجود القائم عليه السلام وأنه لا بد أن يكون ح ٥٨ ◀

فلماذا تحدث الزلازل؟ إنها رعب عجيب، بغتة تشعر بأن البناء الذي بنيته لحمايتك هو يهدد حياتك، قبل فترة حدث زلزال في قم، وكنا حينها في الغرفة، فلاحظنا البناء يتحرك، وفي ثوان لا يعلم الإنسان ماذا يفعل، يتحير لماذا تحدث هذه الزلازل، ربما هو فعل البشر، حيث ينجي إحدى القنابل الذرية تحت الأرض فتخل بالمعادلات الطبيعية، فماذا يفعل الإنسان في تلك الحالة، ليس له ملجأ آخر، إن ملجأه هو الله وهو المنجي سبحانه.

جاء في (كتاب غيبة النعماني ص ٢٦٩)^(١) عن الإمام الباقر صلوات الله عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) «يعني بذلك خروج المهدي، حيث: ﴿يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فهو من عند الله عز وجل ولا بد أن يراه الخلق»، وربما تعني هذه الجملة أن الخلق سيدركون أن لا ملجأ ولا ملاذ لهم إلا الإمام المهدي عليه السلام، في ذلك الحين سيأتي الإمام المهدي صلوات الله عليه كمنقذ ومنجي.

وهنا لا بأس أن نقرأ الحديث المذكور في (كمال الدين ج ١ ص ٣١٨) عن الباقر صلوات الله عليه: «ثم يضع السيف على عاتقه»^(٣) فكم

﴿وتكلمة الحديث: «يسع الله له الأرض عدلاً وقسطاً».

(١) انظر (الغية للنعماني): ص ٢٧٧ ب ١٤ ح ٤٠.

(٢) سورة فصلت: ٥٣.

(٣) انظر (كمال الدين): ص ٢٣٩ ب ٣٢ ح ١١، وقد روى هذا المعنى الشيخ الصدوق

سيحارب الإمام؟ إنها حرب محدودة سيثيرها الظالمون ضد الإمام ثمانية أشهر فقط، ثم بعد ذلك ينتهي كل شيء، ولعلّ الجو العام يكون مهيأً لذلك.

ولا بأس أيضا أن نذكر هذه الحادثة، فقد اجتاحت قبل سنوات موجة من الفيضانات بعض دول أوربا وقتلت وشرّدت الآلاف، فلم تشهد أوربا مثل هذه الموجة من الفيضانات منذ مئة وخمسين عاما حتى حدوث موجة الفيضانات هذه، لماذا؟ إن السبب هو ظلم البشر، والسبب أيضا هو رفض الدولة الفلانية التوقيع على بندٍ يتعلق بالشركات الكبرى التي توجه الآن سياسات الدول العظمى، فالحاكم هو الشركات الكبرى التي تحكم وتفرض على الآخرين ما ترغب به، فضغطت على تلك الدولة لكي لا توقع هذا البند، مما قاد إلى ظهور الخطر العظيم للاحتباس الحراري الذي زاد من درجة الحرارة فأدى بدوره إلى زيادة ذوبان الثلوج وغزارة الأمطار فحدثت هذه الفيضانات^(١).

نأمل قريبا أن يأتي اليوم الذي تشعر فيه البشرية أن لا ملجأ لها إلا الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه، ولذلك عندما يخرج هذا

► عن الإمام الحسين (عليه السلام) في: ص ٣١٨ ب ٣١ ح ٥، وقد رواه غير الصدوق عن

أمير المؤمنين (عليه السلام) (كنز العمال): ج ١٤ ص ٥٨٩ ح ٣٩٦٧.

(١) المراد هنا رفض الولايات المتحدة الأمريكية التوقيع على معاهدة (كيوتو) الخاصة

بالشأن البيئي العلمي وتم التوقيع عليها من قبل ١٩٥ دولة.

المنقذ، ستقبل البشرية به ويؤمن به المسيحيون ويلجأ إليه المسلمون، ويمكننا أيضاً في هذا العهد أن نسرّع من نضج الناس ووعيمهم، لأن العالم تحوّل إلى قرية صغيرة، ففي هذه الغرفة توجد الآن كل الأديان والمبادئ والمذاهب، ويمكن أن يصل التشيع الآن إلى كل غرفة، ويمكن أن تدخل فكرة المهدي المنتظر عليه السلام إلى كل غرفة.

فالحال ليس كما كان في السابق حين كانت توضع علينا الحدود، لا تتكلمون ولا تذهبون إلى مجالسهم ولا تسمعون كلماتهم، فليس هناك حدود بعد الآن، حيث يمكن للشباب أن يدخل في غرفته ويغلق الباب ويرى كل شيء، في هذا العهد يمكننا دفع البشرية وتسريعها إلى الإيمان بالمهدي وانتظاره والتضرع إلى الله سبحانه وتعالى للتعجيل في ظهوره.

ختاماً نذكر هذه الرواية التي وردت في (مكيال المكارم)^(١) حيث أوصي الأخوة القراء جميعاً وأوصي نفسي بقراءة هذا الكتاب، فهو بحر من المعرفة والعلم، نذكر مضمون الرواية في (المجلد

(١) كتاب مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام تأليف العلامة آية الله الفقيه السيد محمد تقى الموسوي الأصفهاني المعروف بـ (فقيه أحمد آبادي) ولد سنة ١٣٠١ هـ في أصفهان وتوفي سنة ١٣٤٨ هـ وله قرابة ستة عشر مؤلفاً أهمها هذا الكتاب المبارك والذي يحتوي على ثمانية أبواب ويحتوي كل باب على جملة من المقاصد اللطيفة والتحقيقات الرشيدة فضلاً عن ما يحتويه هذا الكتاب من الأحاديث الشريفة وعددها: (١٧٥٣) حديثاً.

الأول ص ٤٦٧) إن الله سبحانه كتب العذاب على بني إسرائيل فترة طويلة بسبب موقف لا نتطرق إلى تفصيله الآن، فلما طال عليهم العذاب ضجّوا - نحن أيضاً جميعاً نعيش الآن عذاب الغيبة، وإذا لم يشعر الإنسان بعذاب الغيبة فذلك لقصور فيه، لقد حرّمنا من بركات ظهور الإمام - فلما طال العذاب على بني إسرائيل ضجّوا وبكوا وتضرّعوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى سبحانه إلى موسى وهارون أن يخلصاهم من فرعون، فحطّ عنهم عذاب مائة وسبعين عاماً^(١) وخفّض عنهم على أثر تضرّعهم.

وصل الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) انظر (مكيال المكارم): ج ١ ص ٤٦٧ المكرمة ٢٢ من الباب الخامس ح ٧٨٣، وفيه: عن الفضل بن أبي قرّة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أوحى الله إلى إبراهيم: أنه سيولد لك، فقال لسارة، فقالت: ﴿أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ فأوحى الله إليه: إنها ستلد، ويعذب أولادها أربعين سنة، برّدها الكلام عليّ»، قال عليه السلام: فلما طال على بني إسرائيل العذاب، ضجّوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن يخلصهم من فرعون فحطّ عنهم سبعين ومائة سنة. قال: وقال أبو عبد الله: هكذا أنتم لو فعلتم لفرّج الله عنا فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلى متناه.

علماً بأن مدة العذاب كانت أربعين سنة من زمن أولادها وهم إسحق ويعقوب كما نصّت عليه الرواية لا من زمن النبي إبراهيم، فيكون ما روي عن ابن عباس: إنه كان بين إبراهيم وموسى (٥٧٥ سنة) ويكون قول محمد ابن إسحاق: كان بينهما (٥٦٥ سنة)، له نوع قوة.

تفسير ظاهرة غيبة الإمام المهدي المنتظر

عجل الله تعالى
فرجه

٤

هذه هي حلقة أخرى نتناول فيها
ظاهرة غيبة الإمام الحجة عجل الله تعالى
فرجه، وتتضمن الإجابة الخامسة التي
يشير إليها الشيخ المفيد (رحمة الله تعالى عليه)
في كتاب (رسائل في الغيبة في المجلد الثالث
ص ١١)، وتأتي هذه الإجابة قريبة من
الإجابة الرابعة حيث يمكن أن تكون
تفسيراً لاستمرار ظاهرة الغيبة وليس
لأصل حصول هذه الظاهرة، وهي
انتظار تمام العدة.

ربما لا تكون الصفات التي يجب
توفرها في هذين النوعين متطابقة،

إن هذه الروايات
تؤكد بأن هنالك بعداً
طبيعياً في حركة الإمام
عليه السلام فلا بد أن يكون
هنالك عدد كافٍ من
الرجال ويجب أن يكونوا
في درجة رفيعة وراقية
جداً من التقوى والإيمان
والإخلاص والإطاعة،
فهل وجد هذا العدد
الذي يتمكن من أن
ينهض بهذه المهمة؟
الفقيه الشيرازي

فقد يوجد هنالك نوع من الاختلاف ، ويشير لنا القرآن الكريم فيما يبدو إلى بعض صفات هذين النوعين ، مثلاً يبين الله إن الحركة الإصلاحية التي تهدف إلى تغيير الواقع القائم تحتاج إلى رجال على نوعين ولا بد أن تتوفر لكل منهما صفات معينة وهما : النوع الأول : رجال مرحلة التكوين ، والنوع الثاني : رجال مرحلة البناء .

النوع الأول : رجال مرحلة التكوين

يستفاد من قضية طالوت وجالوت : إن الرجال الذين يهدفون إلى التكوين من خلال هدم الواقع القائم وبناء واقع جديد على أنقاضه ، يجب أن تتوفر فيهم صفة نكران الذات وتجاوزها ،

(١) الشيخ الجليل شيخ الطائفة ورئيسها وناظم علومها وناشرها الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان من أبناء الصحابي الجليل سعيد بن جبير ، فقيه متكلم محدث عالم مضطلع بشتى العلوم العقلية والعقلية شيخ من أتى بعده والراوي لثراث من قبله ، من علماء الشيعة وحذاقها له من المؤلفات ما تجاوزت حدود الواصفين كثرة ومتانة وفضائله كثيرة ، توفي ليلة الجمعة لثلاث ليال خلون من شهر رمضان سنة ٤١٣ هـ ودفن جنب الإمامين الكاظمين عليه السلام .

(١) هي مجموعة من الرسائل للشيخ المفيد وهي عبارة عن أربعة رسائل : تدور الأولى : في إثبات لزوم وجود الإمام عليه السلام ، والثانية : أثبت بالدليل وجود الإمام المهدي عليه السلام ، والثالثة : بين الفرق بين الأئمة والإمام المهدي عليه السلام ، والرابعة : أجاب عن سؤالين : الأول : لماذا لا يظهر الإمام المهدي ؟ ومتى سيظهر ؟ فضلاً عن جوابه لجملة من الشبهات التي تدور حوله عليه السلام .

فهناك الفرد الذي لا يستطيع أن يتجاوز ذاته ولا يتمكن أن يضحى ببعض شهواته ومثله لا يمكن أن يكون من رجال هذه المرحلة.

لقد أجرى طالوت اختباراً، فجيشه يريد أن يحارب العمالقة وهم قوة كبيرة، فمن يتمكن من أن يحارب هؤلاء العمالقة، إن محاربتهم تحتاج إلى صفات نفسية معينة وهي أهم شيء ينبغي أن يتصف به رجال المرحلة الأولى، ولذلك أجرى قائد الجيش طالوت اختباراً لرجاله وقال لهم: يا من تريدون دخول ميدان المعركة، إن أمامكم امتحاناً صغيراً - وكان جيشه عطشاً - فقال لجيشه: ﴿إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾^(١) أي غرفة واحدة فقط، لكن حين يأتي الجيش وقد بلغ به العطش أشده ويرى الماء أمامه فماذا يفعل؟ لقد دخل الجيش النهر وارتوى من الماء ارتواء تاماً.

لذلك فإن من لا يتمكن أن يتجاوز حالة العطش، هل يتمكن أن يتجاوز حبه للحياة ويضحى بحياته؟ إن هذه القضية واضحة، فقط جماعة قليلة من الجيش اغترفوا غرفة واحدة بأيديهم عندما عبروا النهر، وإذا بأكثرية الجيش تقول: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

فمن يفشل في الامتحان الصغير قطعاً سيفشل في الامتحان الكبير، ومن يفشل في امتحان الدينار قطعاً سيفشل في امتحان القنطار، إذن تحتاج المرحلة الأولى، وهي مرحلة هدم الواقع القائم لبناء واقع جديد على أنقاضه، إلى رجال معينين وإلى صفات نفسية معينة .

النوع الثاني: رجال مرحلة البناء

نأتي إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة البناء والإدارة، إن البيت له مرحلة هدم وله مرحلة بناء، ويحتاج رجال هذه المرحلة أيضاً إلى صفات معينة، ربما تلتقي مع صفات رجال المرحلة الأولى ولكن ربما يحتاج رجال هذه المرحلة إلى صفات أخرى إضافية، فليس كل من يخوض في الميدان يتمكن من إدارة الحكم والمجتمع لأن هذا الأمر يحتاج إلى صفات أخرى.

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ ربما تعني الآية الكريمة، اجعلني وزيراً للمالية ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلَيْهِمُ﴾^(١) ولعل المقصود بحفيظ هو الأمانة، فمن تكون جميع الأموال تحت يده، يجب أن يكون على درجة عالية من الأمانة والحفظ، وإلا فالأموال تغري الإنسان.

(١) سورة يوسف: ٥٥.

يُنْقَلُ عن السيد البروجردي^(١) (رحمة الله تعالى عليه) أنه كان يقول: (إن الأموال لا تغريني والمال ليس قضية مهمة لدي)، ولذلك عاش السيد زاهداً إلى آخر حياته، لأن المال لا يمكن أن يؤثر على صفته الأخرى، ﴿إِنِّي حَفِیْظٌ عَلِیْمٌ﴾ فيجب أن تكون لوزير المالية الخبرة والمعرفة في هذا المجال.

حركة غيبية أم حركة طبيعية؟

هل إنَّ حركة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) تستند إلى الإمداد الغيبي؟ أم هي حركة تعتمد على منطق المعادلات الطبيعية، بمعنى أنها حركة غيبية أم حركة طبيعية؟

إن الإجابة عن ذلك وحسب ما جاء في الروايات المتعلقة بهذا المجال: إنَّ هذه الحركة تشبه حركة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فهي حركة (طبيعية - غيبية) في آن واحد، صحيح أنَّ النبي الأعظم كان يعتمد ويستند إلى الإمداد الغيبي، لكن حركته كانت تعتمد على منطق المعادلات الطبيعية أيضاً.

نذكر هنا روايتين تدلان على وجود البعدين الطبيعي والغيبي

(١) آية الله العظمى السيد حسين بن السيد علي الطباطبائي البروجردي رحمه الله من زعماء الطائفة ومن مراجعها الكبار، تتلمذ على صاحب الكفاية وصاحب العروة وغيرهما وانتقلت إليه المرجعية بعد وفاة السيد أبو الحسن الأصفهاني رحمه الله والسيد حسين القمي رحمه الله، وُلِدَ سنة ١٢٩٢ هـ وتوفي سنة ١٣٨٠ هـ.

في حركة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، فالرواية الأولى تشير إلى البعد الغيبي: حيث جاء في (تفسير العياشي^(١) المجلد الأول ص ١٩٧) عن الإمام الباقر (صلوات الله وسلامه عليه): «إن الملائكة الذين نصرروا محمداً صلى الله عليه وآله يوم بدر هم خمسة آلاف»^(٢) فقد نصرروا النبي صلى الله عليه وآله في الأرض وهم موجودون فيها، فليس نحن فقط نعيش حالة الانتظار، بل أولئك الملائكة يعيشون حالة الانتظار أيضاً ولم يصعدوا بعد، حتى عهد الإمام الباقر عليه السلام فهم باقون في الأرض حتى ينصروا صاحب هذا الأمر وهم خمسة آلاف إذ أن عددهم مذكور في القرآن الكريم.

(١) هو الشيخ الجليل محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السمرقندي أبو النضر المعروف بالعياشي من عيون الطائفة وكان واسع الأخبار بصير بالروايات وكان فقيهاً محدثاً رجالياً وكان من أكثر الناس علماً وفضلاً وأدباً وفهماً ونبلاً في زمانه وله كتب كثيرة تزيد على مائتي مصنف، ومن تلك المصنفات تفسيره الشهير الذي يعد من الأصول المعتمدة عليها في تفسير القرآن بما ورد من روايات أهل بيت النبوة عليهم السلام ولكن الذي يحز في النفس أن بعض الناسخين قام بمحذف أسانيد التفسير للاختصار، وفقدان الجزء الثاني منه، وعلى كل حال: فإن المطبوع منه على جزئين: الأول: ويتبدأ بمجموعة من المقدمات المتعلقة بالتفسير ثم يتبدأ التفسير بسورة الفاتحة إلى سورة الأنعام، ويبدأ الجزء الثاني المطبوع: بسورة الأعراف وينتهي بنهاية سورة الكهف، ومجموع الأحاديث في المطبوع منه: (٢٧١٨) حديثاً.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ١٩٧ ح ١٣٨.

إذن فهذا الجانب يمثل إمداداً غيبياً للإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه)، ولكن وكما يبدو من روايات أخرى، أن الإمداد الغيبي هو جزء من القضية، إن الروايات تنفي التصور الموجود لدى بعضنا بأن الإمام المهدي (صلوات الله عليه) سيأتي ومن دون أية مقدمات أو مثونة و تصبح الكرة الأرضية كلها خاضعة له، فهناك جابرة وطفاة يحكمون في هذا العالم وهناك أفراد ستعرض مصالحهم للخطر، ألم ينكر بعض علماء اليهود والنصارى النبي الأعظم ﷺ عندما جاء وهم ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾^(١)، ولكن هناك مصالح في القضية، فهناك جماعة يخرجون إلى الإمام المهدي ﷺ ويقولون له: (لا حاجة لنا بك، فارجع من حيث أتيت)، ألم يحارب الطواغيت النبي الأعظم ﷺ؟ وكذلك سيحاربون الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

إن الخط الأموي ما يزال موجوداً ولم ينته، وقد لاحظتم في العراق بعض آثار ومظاهر هذا الخط، حيث كانوا يأخذون المؤمنين ويأمرونهم بأن يشتمو أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (صلوات الله عليه)، رغم إن أمير المؤمنين ﷺ هو الخليفة الرابع على الأقل - كما يقولون - لكنهم يهددون الناس، إما تشتم أو نذبحك! وهؤلاء هم الذين يقفون أمام الإمام المهدي (صلوات الله عليه).

(١) سورة البقرة: ١٤٦، سورة الأنعام: ٢٠.

إن الإمام المهدي (صلوات الله عليه) لا ينتصر على هؤلاء بالمعجزة أو بالإمداد الغيبي فقط، هناك رواية مذكورة في كتاب (الغيبة للنعماني ص ٢٨٤)، ومذكورة في (بحار الأنوار) أيضاً، يقول الراوي: لما قدمت إلى المدينة قلت لأبي جعفر الباقر (عليه السلام): إنهم يقولون - الناس: إن المهدي لو قام (صلوات الله عليه) لاستقامت له الأمور عفواً - بمعنى من دون تعب أو مشقة - فقال الإمام الباقر (عليه السلام): «كلا، والذي نفسي بيده لو استقامت لأحد عفواً لاستقامت لرسول الله حين أدميت رباعيته، وشُجَّ في وجهه»، وكما هو معروف فإنَّ أسنان النبي الأعظم الأمامية قد كُسرت في معركة أحد، وكان الوالد^(١) (رحمه الله) ينفي ذلك ويقول: لم تُكسر رباعية النبي الأعظم، لكن هذه الرواية تقول: أدميت إدماءً وشُجَّ وجهه.

إذن، كان الإمداد الغيبي للنبي (صلوات الله عليه وآله) جزءاً من المعادلة ولم يكن كلها، وكانت هنالك معاناة: «كلا والذي نفسي بيده حتى تمسح وأنتم العرق والعلق، ثم مسح جبهته»^(٢)، يقول العلامة المجلسي رحمه الله في البحار: إن العلق هو الدم الغليظ وهذه^(٣) كناية عن ملاقات الشدائد التي تُسيل العرق والعلق وتُحدث

(١) المجدد الثاني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (رحمته الله).

(٢) راجع (كتاب الغيبة، للنعماني): ص ٢٩٤-٢٩٥ ب ١٥ ح ٢.

(٣) أي قوله (عليه السلام): «حتى تمسح وأنتم العرق والعلق».

الجروح المسيلة للدم^(١)، فهناك عرق وجهاد ميدان، نحن وأنتم.

تحقيق حلم دولة العدل والحق

في المراحل الأولى لحركة الإمام المهدي (صلوات الله عليه) يُقتل بعض الولاة الذين يعينهم في بعض البلدان من قبل جماعة يقومون ضدهم، فيرجع الإمام المهدي إليهم^(٢).

وفي رواية أخرى موجودة في (تفسير العياشي المجلد الأول ص ١٠٣) يقول الإمام الباقر (صلوات الله عليه فيها): «ينزل المهدي يوم الرجفة بسبع قباب من نور لا يُعلم في أيها هو، حتى ينزل ظهر الكوفة»^(٣)، وربما تعني كلمة: «ينزل» في ظاهرها، أن الإمام الحجة (عجل الله فرجه) ينزل من السماء في قباب من نور لا يُعلم في أيها هو، ولكن لماذا لا يُعلم في أيها هو؟ إن هذا يحدث في المراحل الأولى، ربما تحفظاً من بطش الأعداء، فإذا عرف الخط الأموي بظهور الإمام المهدي، وهم خط الجبابرة ربما يقتلونه، أو يحاولون ذلك.

(١) انظر (بحار الأنوار): ج ٥٢ ص ٣٥٨ ب ٢٧ ذيل ح ١٢٢.

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج ٥٢ ص ٣٤٢ ب ٢٧ ضمن ح ٩١.

(٣) انظر (تفسير العياشي): ج ١ ص ١٠٣ ح ٣٠١، وفيه: قال أبو جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَبْلُغُ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَأْنِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾، قال عليه السلام: «ينزل في سبع من نور لا يعلم في أيها هو حين ينزل في ظهر الكوفة فهذا حين ينزل».

إذن فالقضية ليست غيبية فقط ، نعم الجانب الغيبي وإمداد الله وعنايته موجودة قطعاً ، وينزل خمسة آلاف من الملائكة لنصرة الإمام عليه السلام ، ولكن تدل هذه الروايات أيضاً على أن هنالك بعداً طبيعياً في حركة الإمام المهدي (صلوات الله عليه) كما كان هذا البعد الطبيعي موجوداً في حركة رسول الله (صلى الله عليه وآله).

حسناً ، كم تحتاج من الرجال مثل هذه الحركة التي يجب أن تعتمد على منطق المعادلات الطبيعية أيضاً؟ فالمرحلة الأولى وهي مرحلة الهدم تمتد ثمانية أشهر ، فهي مرحلة الحرب كما ذكرناها ، إذن نحتاج من الرجال لإدارة هذه المرحلة ، أما المرحلة الثانية فهي تتعلق بصفات هؤلاء الرجال ، فما هي صفاتهم؟

إنَّ المرحلة الثانية هي مرحلة البناء ، ولكن أي بناء؟ إنه بناء دولة عالمية لم يأت لها نظير على وجه الكرة الأرضية حتى الآن ، إنها دولة العدل الإلهية.

فالقضية تتطلب الدقة في اختيار الرجال ، حيث لا يجوز الاعتماد على ظاهر الرجل لوضعه في أحد المناصب ، ثم يتبين أنه لم يكن كما ينبغي ، فنحن كثيراً ما نعتمد على الظاهر ، وغير مكلفين بالنتائج أيضاً ، إنَّ حركتنا حركة ظاهرية ، فيكون خالد ابن الوليد قائداً للجيش ويقتل الأبرياء ويريق الدم ، أو ربما يكون فلان والياً ثم يخون ويهرب بالأموال ويكتب رسالة شديدة اللهجة إلى

أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فيقول له الإمام: إنك تحنون المسلمين فتسرق أموالهم، ألا تخاف من فعلتك هذه؟ فيرد هو أيضاً رداً قاسياً وشديداً على الإمام، راجع نهج البلاغة^(١).

إذن يراد لهذه الدولة أن تحقق ذلك الأمل والحلم الذي بشرت به رسالات السماء، في تحقيق دولة العدل والحق، فكم تحتاج إدارة هذه الدولة من رجال وفي أي مرتبة يجب أن يكونوا؟ وإذا كان التوقع الأقرب أن الإمام المهدي (صلوات الله عليه) سيدبر كل الأمور بالقضايا الطبيعية، إذن ألا يحتاج الأمر إلى تهيئة وذراع تدبير الأمور؟

إن هذه الروايات، وروايات أخرى تؤكد بأن هنالك بعداً طبيعياً في حركة الإمام، فلا بد أن يكون هنالك عدد كافٍ من الرجال ويجب أن يكونوا في درجة رفيعة وراقية جداً من التقوى والإيمان والإخلاص والإطاعة، فهل وجد هذا العدد الذي يتمكن من أن ينهض بهذه المهمة؟

يوسفنا أن نقول: كلا، لا يوجد، وقد يستغرب البعض من هذا الكلام، فهل ينتظر الإمام المهدي (صلوات الله عليه) إتمام العدد؟

(١) انظر (نهج البلاغة): ج ٣ من كتاب له ﷺ إلى بعض عماله في نكته لمعهده وتناوله لشيء من بيت المال، والظاهر أن المقصود به هو عبيد الله بن العباس واليه على اليمن والذي مال في الآخر إلى معاوية في القضية المعروفة.

الجواب عن هذا السؤال، يشير إليه الشيخ المفيد رحمته الله، ولا بأس أن أذكر عبارة الشيخ المفيد رحمه الله عليه حيث يقول: (ولو علم الله تعالى أن العدد المذكور على ما شرطنا موجود في جملتهم لظهر الإمام لا محالة، ولم يغيب بعد اجتماعهم طرفة عين)^(١)، بمعنى أن هذا العدد لو اكتمل كما يقول الشيخ المفيد لظهر الإمام عليه السلام في لحظة اكتماله نفسها.

فهل يبدو هذا القول غريباً؟ نعم، ربما يبدو المنطق الذي يقوله الشيخ المفيد غريباً، كلا انه ليس غريباً، يشير أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) إلى نظيره في نهج البلاغة، لاحظ الخطبة الشقشقية، يبدأ الإمام (صلوات الله عليه) بهذا المقطع: «فما راعني إلا والناس...» أي عندما هجم الناس على الإمام صلوات الله عليه لمبايعته.

ثم يقول عليه السلام: «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلاً على غاربها ولسقيت آخرها بكأس أولها»، وهذا هو الفرق بين الأول والآخر، كما يقول الإمام في الخطبة الشقشقية: «حضور الحاضر».

يقول شارح نهج البلاغة: بأن حضور هؤلاء الذين هجموا نحو الإمام عليه السلام لم يكن في اليوم الأول، ولذلك ألقى حبلاً على

(١) رسائل في الغيبة: ج ٣ ص ١٢.

غاربها في ذلك اليوم، أي ألقى حبل الخلافة على غاربها، وبمعنى على عاتقها، وترك الأمر، ولكن بعد حضور الحاضر اختلف الأمر لدى الإمام^(١).

ماذا أذكر هذا الكلام؟ الجواب: لأن ذلك ربما يدفع البعض كي يتأمل في جواب الشيخ المفيد رحمته الله، فلولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر لما رضي الإمام بالخلافة الظاهرية بعد أن كانت له الخلافة الواقعية من البداية.

إذن فإن العدد المطلوب لنصرة الحجة عجل الله تعالى فرجه لم يكتمل، نعم يوجد مؤمنون كثيرون، ولكن ما هو العدد؟ وما هي الصفات المطلوبة؟ إن الصفات التي ينبغي أن تكون متوفرة في هذا العدد صفات رفيعة جداً لكن هذا غير متوفر، ولذلك جاء في شرح التجريد على ما أتذكر: (وعدمه منا)، أي أننا السبب الذي يقف وراء ظاهرة الغيبة: (وجوده لطفٌ وتصرفه لطفٌ آخر وعدمه منا)^(٢).

هنا أذكر بعض الروايات التي تبين صفات هؤلاء المناصرين،

(١) قال الشيخ الطوسي في كتابه (الاقتصاد): ص ٢١٠: (فبين عليه السلام لأصحابه أنه قابل من قابل من أهل البصرة وغيرهم لقيام الحجة عليه بحضور الناصر، وكان في ذلك بيان أنه لم يقاتل الأولين لعدم الناصر).

(٢) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص ٤٩٠-٤٩١ المسألة الأولى من المقصد الخامس.

وفي أي مرحلة من الاستعداد ينبغي أن يكونوا؟ لكي تعرفوا أن القضية تحتاج إلى عمل كثير، وثمة ملاحظة أشير إليها، وهي أن هذا لا يعني أن نصل إلى اليأس، وهذه نقطة محورية.

فحين تضع أمامك نموذجاً رفيعاً - دقق في هذه النقطة - فإن هذا النموذج يحرك كل طاقاتك، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى مراتب، المرتبة الأولى أن تبدأ، وليس هنالك سقفاً معيناً، مثلاً على ذلك، إن أوقات الصلاة متحركة وليست ثابتة كما نعرف، فيمكننا أداء صلاة المغرب والعشاء عند منتصف الليل، لقد قمنا بهذه الوظيفة قبل منتصف الليل بدقائق لكن يمكن أن نؤديها أول وقت الصلاة: (الصلاة في أول الوقت جزور وفي آخره عصفور) حيث يكون ثوابها لو أقيمت بهذه الصورة قليلاً، هذا ما يختص ناحية الوقت، أما من ناحية التوجه إلى الله سبحانه وتعالى، فإن الصلاة تبدأ من لحظة الصعود إلى فوق، وتُلف ثم يرمى بها رأس صاحبها^(١)، إن صلاتك لا تفيدنا بل هي لك أنت، ولا يكتب في ديوانه ولا ركوع ولا سجود ولا تكبير، إنها ستكون مُسْقِطَةً

(١) راجع: (بحار الأنوار): ج ٨١ ص ٢٦٠ ب ١٦ ح ٥٩، وفيه: عن النبي: «إن من الصلاة ما يقبل نصفها وثلثها وربعا وخمسها إلى العشر، وإن منها ما يلف كما يلف الثوب لخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وإنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك».

لِلوُظُفَةِ طَبْعاً، أَيِ أَنَّكَ تُؤَدِّي الْفَرَضَ، وَلَكِنْ كُلُّ شَيْءٍ لَا يُكْتَبُ، هَذِهِ إِحْدَى الْمَرَاتِبِ.

لَكِنْ أَذْهَبَ إِلَى مَرْتَبَةِ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَلَاةِ وَآمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي يُنْزَعُ السَّهْمُ مِنْ رِجْلِهِ أَثْنَاءَ صَلَاتِهِ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ، فَإِذَا وَضَعْتَ أَمَامَكَ أَحَدَ الْأَهْدَافِ الْمَحْدُودَةِ سَتَذْهَبُ إِلَيْهِ بِمَحْرَكَةٍ مُتَتَدَّةٍ، وَرَبَّمَا تَصِلُ إِلَى ذَلِكَ الْهَدَفِ الْمَحْدُودِ أَوْ لَا تَصِلُ، لَكِنْ الدِّينُ سَيَجْعَلُ أَمَامَكَ هَدَفًا لَا حَدَّ لَهُ - وَهَذِهِ إِحْدَى نِقَاطِ قُوَّةِ الدِّينِ - فَكَمْ لَدَيْكَ مِنْ طَاقَةٍ سَتَرْكُضُ إِلَيْهِ، وَتَسْتَذْكُرُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِكُلِّ مَا لَدَيْكَ مِنْ مَجَالٍ؟

بَعْضُ الْمُؤْمِنِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ حَتَّى فِي حَالَةِ النَّوْمِ لِأَنَّهُمْ مَعْتَادُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَكَانَ الشَّيْخُ الْكَعْبِيُّ ^(١) (رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ) يُؤَدِّي الْخُطْبَةَ وَالْمَجْلِسَ الْحُسَيْنِيَّ حَتَّى أَثْنَاءَ نَوْمِهِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، فَكَانَتْ أُمُّهُ تَسْتَيْقِظُ وَتَبْكِي بِسَبَبِ خُطْبَتِهِ، فَيَسْتَيْقِظُ هُوَ أَيْضًا فَيَرَى أُمَّهُ تَبْكِي وَيَسْأَلُهَا عَنِ السَّبَبِ، فَتَقُولُ لَهُ: لِأَنَّكَ كُنْتَ تَقْرَأُ عَنْ مَصَابِ الْحُسَيْنِ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ).

فَلَيْسَ هُنَالِكَ حَدٌّ لِلذِّكْرِ وَلِرُوحِ التَّقْوَى النَّفْسِيَةِ الرَّفِيعَةِ، أُدْرَسُ وَابْحَثْ فِي الْفَقْهِ ثَمَانِينَ عَامًا فَلَا يَنْتَهِي، كَذَلِكَ لَيْسَ هُنَالِكَ حَدٌّ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَوْ مِفْتَاحِ الْجَنَانِ: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ

(١) الْخُطْبَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّيْخِ عَبْدِ الزَّهْرَاءِ الْكَعْبِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الْمُتَّهَى) ^(١)، لذلك يفجر الإيمان جميع طاقات المؤمن.

ليس لدينا في التاريخ على ما أظن عالم من علماء الشرق والغرب آلف (١٠٠٠) كتاب كالعلامة الحلي رحمته الله ^(٢)، إن تأليف مثل هذا العدد من الكتب قضية ليست هينة، فالإيمان هو الذي فجر طاقات العلامة الحلي رحمته الله، فيبحث قدر ما يستطيع في هذا المجال، وحين نقول أن هؤلاء يجب أن يكونوا في المرتبة الأولى، ألا يسأل أحدنا ما هي المرتبة التي أستحقها؟ وهل يمكن أن أكون من هؤلاء أو لا يمكن؟

(١) سورة النجم: ٤٢.

(٢) جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن علي بن مطهر الاسدي الحلي ولد في الحلة سنة ٦٤٨ هـ وقرأ فيها على أعلامها ومنها والده سديد الدين وخاله: المحقق الحلي والسيد أحمد بن طاووس وعند المحقق الطوسي في العقلية وغيرهم من علماء الخاصة والعامة وأصبح في وقته شيخ الطائفة وزعيمها بلا منازع حيث إنتهت إليه رئاسة الامامية في المعقول والمنقول وكان كثير التأليف والتحقيق والتدقيق فضلاً عن مناظراته التي ملئت الخافقين ذكراً وشهرة وكان جامعاً للفنون فكتب في التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والرجال والنحو والمنطق وغيرها من العلوم، وربت مؤلفاته على ما قيل: الألف وكانت في غاية الجودة والمثانة، توفي سنة ٧٢٦ هـ.

رجال لا ينامون الليل

إن هذا الهدف الكبير يجب أن تضعه في الحسبان، وتتعب وتركض وتجهد نفسك في العلم والعبادة لعلك تكون واحدا منهم، وربما يكون تمام العدد المناصر بهذا الجهاد والإيمان والعبادة، أذكر هنا قضية الخادم المعروفة للمؤمن، حيث تحول في إحدى الأيام إلى واحد من تلك الجماعة المحيطة بالإمام المهدي (صلوات الله عليه) في قضية طويلة التفاصيل.

ونذكر هنا بعض الروايات التي تبين صفات هؤلاء المناصرين، ونذكر عددهم لاحقا، وكيف يجب أن يكونوا، هذه رواية مذكورة في (بحار الأنوار المجلد ٦٨ ص ١٦٤)، وربما تشير هذه الرواية إلى ما نحن عليه - دقق في الرواية - :

دخل أحدهم على الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) فقال له: جعلت فداك، إني والله أحبك، وأحب من يحبك يا سيدي، ما أكثر شيعتكم؟ - فقد انتشر التشيع في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) بعد الضغط الشديد -.

فقال له الإمام (عليه السلام): «اذكرهم كم عددهم». فقال: كثيرون. فسأله الإمام (عليه السلام): «هل تستطيع أن تحصيهم كم فرداً؟» فقال: لا، هم أكثر من ذلك. أي أكثر من عددهم.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر»^(١) - إن هذا العدد هو العدد الأولي، فهناك أعداد أخر سنذكرها إنشاء الله - فعددهم ثلاثمائة وبضعة عشر، وفي بعض الروايات الأخر العدد المذكور هو ثلاثمائة وثلاثة عشر، ثم يذكر الإمام (صلوات الله عليه) صفات هؤلاء، كما جاء في هذه الرواية .

(١) انظر (بحار الأنوار): ج ٦٥ ص ١٦٤ - ١٦٥ ب ١٩ ح ١٦ عن كتاب الغيبة للنعماني، وفيه: (إنه دخل عليه بعض أصحابه فقال له: جعلت فداك إني والله أحبك وأحب من يحبك، يا سيدي ما أكثر شيعتكم؟ فقال له عليه السلام: «أذكرهم»، فقال: كثير، فقال عليه السلام: «تحصيم؟» فقال: هم أكثر من ذلك، فقال أبو عبد الله عليه السلام: «أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون ولكن شيعتنا: من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه ولا يمدح بنا غالبا، ولا يخاصم لنا واليا، ولا يجالس لنا عائبا ولا يحدث لنا ثالبا ولا يحب لنا مبغضا، ولا يبغض لنا محبا». فقلت: فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنهم يتشيعون؟ فقال عليه السلام: «فيهم التمييز وفيهم التحصيل، وفيهم التبديل، يأتي عليهم سنون تغنيهم وسيوف تقتلهم، واختلاف تبدهم، إنما شيعتنا من لا يهر هزير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب ولا يسأل الناس بكفه وإن مات جوعا» قلت: جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء الموصوفين بهذه الصفة؟ فقال عليه السلام: «اطلبهم في أطراف الأرض أولئك الخشن عيشهم، المنتقلة دارهم، الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن ماتوا لم يشهدوا، أولئك الذين في أموالهم يتواسون، وفي قبورهم يتزاورون، ولا يختلف أموالهم وإن اختلفت بهم البلدان».

الرواية الثانية جاءت في (البحار المجلد ٥٢ ص ٣٠٧) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في صفات أصحاب الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه): «ورجالٌ كأن قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شكٌّ في ذات الله»، فلا يوجد لديهم أي نوع من الشك، لأن قضية اليقين مهمة، وإنهم: «أشد من الحجر يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام، يطلبون بذلك البركة» وعقيدتهم وولاؤهم قوي، «ويحفظون به ويقونه بأنفسهم في الحروب ويكفونه ما يريد فيهم، رجال لا ينامون الليل»، فالمؤمن لا يستطيع النوم، لأنه محب، والمحب لا يتمكن من النوم، لكن لماذا ينام بعضهم من أول الليل إلى الصبح؟ لأن هذا الحب غير موجود في القلب كما ينبغي، أما المحب فلا يستطيع النوم، فمن يدرك عظمة الله سبحانه وتعالى وعظمة الآخرة لا يتمكن أن ينام إلا مضطراً، أحد العلماء قال لابنه: ينبغي أن تنام هكذا، أخذ الدفتر والقلم ووضعهما جانبا وأطرق برأسه قليلاً، نام دقائق معدودة ثم استيقظ، فالإنسان إذا كان منهكاً كثيراً، بمجرد ما يغمض عينيه سينام.

وهناك رجال لا ينامون الليل، ففي رواية عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) تذكر صفات أصحاب الإمام المهدي، «لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل»، فماذا يعني هذا الدوي؟ انه بكاؤهم وأنينهم، يقرأ بعضنا: (بسم الله الرحمن الرحيم) بسرعة وعجالة،

ولكن للمحب صلاة من نوع آخر: «يبيتون قياماً على أطرافهم»، وتعني الأطراف أما الأرجل أو أطرافها: «ويصبحون على خيولهم»، فطيلة الليل لم ينم وفي الصباح ينهض ليجاهد، لماذا لأنه مكدودٌ في ذات الله.

إن كلمة مكدود تعني: منهك، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾^(١)،: «رهبانٌ بالليل ليوثُّ بالنهار» فهم في قمة العبادة، كأنه راهب في الليل وأسد في النهار، هم أطوع له من الأمة لسيدها، إن التسليم المطلق صفة مهمة ويجب أن نتحدث عنها في وقت آخر، حتى مالك الأشتر على عظمته وجلاله، مالك وما أدراك ما مالك؟ لم يصل إلى درجة التسليم المطلق، إنهم كالمصاييح: «كأن قلوبهم القناديل» قلوبهم مضيئة مشرقة «وهم من خشية الله مشفقون» والإشفاق من الخوف، وجاء في الآية الكريمة: ﴿فِي أَهْلِنا مُشْفِقِينَ﴾^(٢).

إنهم يدعون بالشهادة ويطلبون من الله أن يُستشهدوا بين يدي الإمام المهدي (صلوات الله عليه) و«يتمنون أن يقتلوا في سبيل الله وشعارهم: (يا لثارات الحسين)»، وهم يتمسحون بالسرج، وولائهم للإمام الحسين (صلوات الله عليه): «بهم ينصر الله الإمام المهدي

(١) سورة الانشقاق: ٦.

(٢) سورة الطور: ٢٦.

إمام الحق»^(١)، والباء سببية، فهل فينا هذه الصفات، نحن نطمح في ذلك، قلوبنا لا يشوبها شك كزبر الحديد، أشد من الحجر لا ينامون الليل يبيتون قياماً على أطرافهم، إنه تسليم محض للإمام الحجة ﷺ.

التسليم المحض والتطهير التام

أنقل هذه القضية المذكورة في بعض الكتب، هناك رجل طاعن في السن عاشق أو محب للإمام المهدي (صلوات الله عليه)، إنه يبكي ويتضرع في كل ليلة ويطلب من الله سبحانه وتعالى أن يتشرف بلقاء الإمام المهدي، في إحدى الليالي وهو في حالة السجود حيث كان يبكي ويتضرع لله تعالى، وإذا برجل يحضر قربهِ ويقول له ارفع

(١) انظر (بحار الأنوار): ج ٥٢ ص ٣٠٧-٣٠٨ ب ٢٦ ح ٨٢، وفيه: عن أبي عبد الله ﷺ قال: «... ورجال كأن قلوبهم زبر الحديد لا يشوبها شك في ذات الله أشد من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها، لا يقصدون براياتهم بلدة إلا خربوها، كأن على خيولهم العقبان يتمسحون بسرج الإمام عليه السلام يطلبون بذلك البركة، ويحفون به يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم. رجال لا ينامون الليل، لهم دوي في صلاتهم كدوي النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسببها، كالمصاييح كأن قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون بدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله شعارهم: يا لثارات الحسين، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر يمشون إلى المولى إرسالا، بهم ينصر الله إمام الحق».

رأسك، فيرفع رأسه وإذا به يرى الحجرة وقد امتلأت نوراً والرجل يقف أمامه، فسأله الرجل الطاعن في السن: من أنت؟ - فكَرَّ وضع نفسك في مكان هذا الرجل المسن - .

فقال له: أنا الذي كنت تدعوه، وهي هذه القضية المذكورة في الكتب، فيقول له الرجل المسن: وهل أنت المهدي؟

فيجيبه: نعم ماذا تريد؟ إنك أقسمت على الله سبحانه وتعالى بأغلظ الأيمان لكي ترى الإمام المهدي عليه السلام، فماذا تريد؟

فقال الرجل المسن: إنني أتمنى أن أكون من أنصارك وأن أجاهد بين يديك وأن أقتل في ركابك وأن أدخل الجنة على أثر ذلك بدون حساب، هذه هي أمنيته. فقال له الإمام (صلوات الله عليه): إن أصحابي صفوا ما عليهم، فهل صفيت أنت ما عليك؟ بمعنى تطهروا طهرا كاملا. فقال الرجل المسن: نعم أنا صفيت ما علي، ولكن إذا بقي شيء علي فأنا حاضر، بأي شيء تأمرني. طبعاً كل شخص له امتحان معين، وليس شرطاً أن يكون الامتحان في شكل معين، إن الله سبحانه يمتحننا جميعاً في نقطة حيوية، فقال الإمام للرجل الطاعن في السن: أولاً إنَّ هذا البيت الذي تسكن فيه مغضوب لأنه بيت أيتام، فخال هؤلاء الأيتام غضب هذا البيت منهم وباعه لك، دون وجه حق، فيجب عليك أن تعيد البيت إلى الأيتام وتأخذ ثمنه من خالهم.

وهذه المشكلة موجودة الآن في بعض البلاد، وقد ولدت مشكلات اجتماعية، فهذا الرجل المتدين قد اشترى البيت ولا يعرف بقصته وإذا به يكتشف بأن البيت مغصوب، فأين يسكن؟ هل يسكن في الشارع؟ لقد فشل كثيرون في هذا الامتحان، أين يسكن هو وعائلته؟ إننا إذا اكتشفنا الآن أن البيت الذي نسكنه مغصوب فأين نسكن؟ لاحظ درجة إيمان الرجل المسن، لقد قال للإمام (ملوات الله عليه): أنا حاضر، سأخرج من هذا البيت وأعيده فوراً يبدو أن هذا الرجل مشتغل على نفسه في الإيمان والتدين، وإلا لا يمكن أن يقوم بإعادة البيت إلى الأيتام، ثم قيل له إن ملكية البيت لم تنتقل إليك، فلك حق أن تأخذ ثمنه ممن باعه لك.

ثم هنالك مشكلة ثانية صعبة جداً، فقد قال الإمام عليه السلام للرجل المسن: إن زوجتك هذه أختك من الرضاعة، فقد أرضعت أمك هذه المرأة رضعات كاملة، إذن هي أختك وعليك أن تنفصل عنها فوراً!!!

انه رجل مسن ولا بد أن يكون له أولاد وبنات وأصهار، وإذا بأعصابه تنهار تماماً، فلم يتمكن أن يقوم بأكثر مما قام به، إذ يبدو انه تصور ما الذي سيحدث بعد ذلك، وماذا سيقول للناس، ومن سيقبل قضية الانفصال عن زوجته، وإذا به يخرج إلى ساحة البيت، وأخذ يصرخ ويصيح بالجيران، فاجتمعوا كي يفهموا ماذا حدث؟

فقال لهم الرجل الطاعن في السن: هنالك رجل في غرفتي. وحين ذهبوا للغرفة لم يجدوا أي شخص!

وتوجد قضايا مماثلة أيضاً، لكن الرجل المسن فشل في امتحان الزوجة، وشخص آخر فشل في امتحان الحورية وآخر فشل في امتحان القتل، فيجب أن يكون هنالك تسليم محض.

سأنقل باختصار بعض الروايات الأخرى وأنهى الموضوع: وسوف لا اذكر هنا مصادر الروايات بدقة لضيق الوقت، جاء في كتاب (كمال الدين) عن الإمام الجواد (ملوات الله عليه): «إنه يجتمع بالإمام ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه عدة أهل بدر ومن أقاصي الأرض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾»^(١) - لاحظ هذه الجملة الشرطية التي يستوحش منها البعض - «فإذا اجتمعت له العدة من أهل الإخلاص التام والكمال اظهر الله أمر» - هذه إذن هي الجملة الشرطية، بمعنى أن الظهور معلق بوجود هذه العدة - «فإذا اكتمل له العقد» - هذه هي المرحلة الثانية - : وهو عشرة آلاف رجل خرج بإذن الله عز وجل»^(٢) حيث توجد مرحلتان هما:

(١) سورة البقرة: ١٤٨.

(٢) راجع (كمال الدين وتمام النعمة): ص ٣٧٨ ب ٣٦ ح ٢، وفيه: عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى عليه السلام: إني

مرحلة الظهور. والثانية: مرحلة القيام والنهضة.

على أي شيء يتوقف ظهور الإمام (عجل الله تعالى فرجه) ؟
إنه متوقف على ثلاثمائة وثلاثة عشر من أهل الإخلاص
الذين لا شائبة فيهم، ولكن المرحلة الثانية وهي مرحلة القيام
تتوقف على عشرة آلاف رجل، فلا بد أن يوجد هذا العدد.
في تفسير القمي^(١) لقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ

► لأرجو أن تكون القائم من أهل بيت محمد الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً
كما ملئت جوراً وظلماً، فقال عليه السلام: «يا أبا القاسم: ما منا إلا وهو
قائم بأمر الله عز وجل، وهاد إلى دين الله، ولكن القائم الذي يطهر الله عز
وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود، ويملاها عدلاً وقسطاً هو الذي تخفى
على الناس ولادته، ويغيب عنهم شخصه، ويحرم عليهم تسميته، وهو سمي
رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيته، وهو الذي تطوي له الأرض، ويدل له
كل صعب ويجمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر: ثلاثمائة وثلاثة عشر
رجلاً، من أفاضل الأرض، وذلك قول الله عز وجل: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ
بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فإذا اجتمعت له هذه العدة من
أهل الإخلاص أظهر الله أمره، فإذا كمل له العقد وهو عشرة آلاف رجل خرج
بإذن الله عز وجل...» .

(١) تفسير القمي: يعد أصلاً من الأصول المعتمد والممول عليها من قبل المفسرين،
ومن أقدم التفاسير المروية عن أهل البيت (عليهم السلام) وبالأخص الإمامين الباقر
والصادق (عليهم السلام)، قسم مصنفه الكتاب إلى مقدمة قيمة ذكر فيها جملة من
الروايات المروية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان أنواع علوم القرآن، وبعد ذلك
ساق الروايات الواردة في تفسير الآيات القرآنية لكل سورة سورة، ولهذا

يَجِبُهُمْ وَيَخْبُونَهُ ﴿١﴾

إن هذه الآية الكريمة نزلت في المهدي (صلوات الله عليه) وأصحابه وهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ

► الكتاب مزية اعتمدها جملة من محققي علم الرجال وهي استفادة التوثيق العام لجميع رواته أو لخصوص مشايخه من عبارة وردت في مقدمة الكتاب، نعم ذهب جمع من المحققين كالشيخ المتبع آقا بزرگ الطهراني إلى أن التفسير في الحقيقة عبارة عن مجموع تفسيرين هما تفسير القمي المروي في غالب رواياته عن الإمام الصادق عليه السلام وتفسير أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام المروي هذا الأخير عن طريق راوي تفسير القمي (أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن الإمام الكاظم عليه السلام) حيث روى أبو الفضل تفسير أبي الجارود عن طريق الحافظ الثقة ابن عقدة باسناده عن أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام وليس الراوي عن ابن عقدة مصنف الكتاب لعدم إمكان رواية علي بن إبراهيم عن ابن عقدة لأن الأخير توفي سنة ٣٣٣هـ وعلي بن إبراهيم وإن لم يعلم تاريخ وفاته بالضبط إلا أن تلميذه الشيخ الكليني قد توفي سنة ٣٢٩هـ انتهى ملخص كلامه أعلى الله مقامه وهو متين وإن كان احتمال رواية القمي التفسير عن ابن عقدة موجود كما ذهب إليه جملة من المحققين لجملة من القرائن منها: إمكانية الملاقاة بين الشيخين والرواية عنه ولو بالاجازة لأنه كان حياً سنة ٣٠٧هـ، ورواية الأكابر عن الأصاغر ليست بنادرة، ويؤيده تصريح الذهبي في ميزانه برواية علي بن إبراهيم عن ابن عقدة، ولغيرها من القرائن، وعلى كل حال فلا يضر بالتوثيق العام المستفاد من عبارة مؤلف التفسير لأن تفسير أبا الجارود لم يرو إلا من خلال سند واحد ثم علق عليه في بقية روايات التفسير، فيتوجه التوثيق العام إلى ما خلا السند الخاص بتفسير أبي الجارود.

(١) سورة المائدة: ٥٤.

لَأَنِّمْ^(١)، أما كلمة: لا يخافون لومة لائم فهي من أعقد الأمور، ويحتاج هذا الموضوع إلى شرح في مقام آخر.

جاء في (البحار) عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «كأنني أنظر إلى المهدي صلوات الله عليه وأصحابه في نجف الكوفة قد أثر السجود بجباههم ليوث بالنهار رهبان بالليل»^(٢).

وفي تفسير العياشي: «يجيء الإمام عليه السلام ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، من بينهم خمسون امرأة»^(٣)، منهم فقط بلغت ذلك المقام.

وجاء في البحار عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه): «إذا قام المهدي (باللفظ الآخر)^(٤) بعث في أقاليم الأرض»، فيعين على كل

(١) تفسير القمي: ج ١ ص ١٧٠ سورة المائدة.

(٢) راجع (بحار الأنوار): ج ٥٢ ص ٣٨٦-٣٨٧ ب ٢٧ ح ٢٠٢، وفيه عنه عليه السلام: «كأنني أنظر إلى القائم عليه السلام وأصحابه في نجف الكوفة كأن على رؤوسهم الطير قد فئت أزوادهم وخلقت ثيابهم، قد أثر السجود بجباههم، ليوث بالنهار رهبان بالليل، كأن قلوبهم زير الحديد، يعطى الرجل منهم قوة أربعين رجلاً، لا يقتل أحداً منهم إلا كافر أو منافق وقد وصفهم الله تعالى بالتوسم في كتابه العزيز بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾».

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٦٥ ضمن ح ١١٧، وفيه: «... ويجيء والله ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، فيهم: خمسون امرأة...».

(٤) أي لفظ (القائم) وقد ذكر السيد محمد تقي الأصفهاني في مكيال المكارم: ج ٢ ص ١٩٨ ب ٨ الأمر ١٣: (القيام عند ذكر اسمه أو ألقابه الشريفة: واستقر

إقليم رجلاً للإدارة، وهؤلاء الرجال القادة يجب أن يكونوا في قمة القمة، في الصفات النفسية والأخلاقية، «يقول: عهدك في كفك»^(١)، وهناك روايات أخر في هذا المجال.

إذن تتوقف المرحلة الأولى على: ثلاثمائة وثلاثة عشر، منهم خمسون امرأة يحملن هذه الصفات بهذه الدرجة التي ذكرناها، ثم يستند إلى: عشرة آلاف في المرحلة الثانية وهي مرحلة القيام، فكما ذكرنا يجب أن نضع هذا الطموح أمام أعيننا، فالإنسان يستطيع أن يصعد نفسه ويقويها ويبدلها من حال إلى حال، حتى لو كان يعاني من مشكلات لأن الله سبحانه وتعالى أعطى لهذه النفس قدرة كبيرة على التبديل والتغيير.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا منهم، وأن يعجل لوليّه الفرج ويسهل له المخرج، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

«على ذلك سيرة الإمامية الإثني عشرية، ويشهد لذلك مضافاً إلى ما فيه من التعظيم والاحترام المطلوب في كل مقام، ما رواه بعض الأعلام في النجم الثاقب عن السيد عبد الله سبط السيد نعمة الله الجزائري رحمته الله أنه جد في بعض الروايات أنه ذكر المصاحب عليه السلام يوماً في مجلس الصادق عليه السلام فقام عليه السلام تعظيماً واحتراماً لاسمه الشريف).

(١) راجع (بحار الأنوار): ج ٥٢ ص ٣٦٥ ب ٢٧ ح ١٤٤، وفيه: عن الصادق عليه السلام: وإذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك ما لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه، فانظر إلى كفك واعمل بما فيها...»

عوامل غيبة الإمام المهدي المنتظر

عبدالمجيد
فهد الشيرازي

سادساً: مفهوم التزليل

العامل السادس من العوامل الكامنة وراء استمرار غيبة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) يرتبط بمفهوم قرآني له أهميته في المجالات العقائدية أو العقدية، كما له أهميته في المجالات الاجتماعية، وهذا المفهوم هو (مفهوم التزليل).

بدايةً نتطرق على نحو الإجمال لهذا المفهوم، فهناك آية في القرآن الكريم من سورة الفتح وهي الآية رقم ٢٥، يقول الله سبحانه وتعالى في هذه

إن نظام الإمام (صلوات الله عليه) يجب أن يكون نظام العدل والإيمان والاستقرار والأمن، وإن وجود الخط الأموي وأمثاله يمنع تحقيق هذا الهدف الذي تحلم به البشرية
الفقيه الشيرازي

الآية المباركة: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلُّهُ وَلَوْ أَنَّ رِجَالَ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءَ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ يَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْلُوهُمْ فُتُصِيكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

التزويل في اللغة:

تعني هذه المفردة التفرق واللينونة، ويدل مفهوم هذه الآية الكريمة ولو بقريئة بعض الروايات الواردة في هذا المقام، أن إحدى السنن الإلهية الحاكمة في هذا الكون تبحث في قضية الاختلاط بين مجتمع وآخر ومن منهما يستحق العذاب ومن منهما لا يستحقه، إنَّ السُّنَّةَ الإلهية تؤكد بأن النعمة لا تنزل على هذا المجتمع، فقد سبقت رحمة الله تعالى غضبه، وهذه شعبة من شعب الرحمة الإلهية، لكن قد تتدخل عوامل أخرى فتحل النعمة ولكن هذا بحث آخر يرتبط بتقاطع السنن الحاكمة في هذا الكون.

فقد اختلط في أهل مكة من يستحق العذاب ومن لا يستحقه، لقد كان لكلمات النبي (صلى الله عليه وآله) ودعوته من القوة والتأثير والفاعلية ما أثر في القلوب، فلم يأت رجل في التأريخ عبر ألف وأربعمائة عام له تأثير كالذي كان للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله).

يقول مؤلف كتاب (المائة الأوائل) وهو رجل مسيحي^(١)،
ليس لدينا شخصية في التاريخ كالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) أثرت
كتأثير هذا الرجل الأمي الذي عاش في تلك الصحراء القاحلة،
ويضيف: (أنا مسيحي ولكن المسيح لم يكن له هذا التأثير
العظيم).

أحد الأخوة كان عائداً من بلاد الغرب، فذكر أن الغربيين
يستغربون لشيئين:

الشيء الأول: الحج، حيث كان هنالك رجل أمي في صحراء
مكة وأمر بالحج وإذا بملايين الناس يندفعون عبر مئات الأعوام
لأداء الحج مع متاعبه المعروفة للجميع، حيث يبذل الحجاج
أموالهم ويتحملون جهود السفر من بلد إلى آخر وكلهم يقولون:
(لييك اللهم لييك)، فكم أثر ذلك الرجل في هذه الملايين، فهل
يمكن أن تفسر ذلك بغير نبوة النبي (صلى الله عليه وآله)؟ إنه نبي مرتبط
بالله تعالى، فالشخص الأمي لا يؤثر كلامه حتى في أولاده أو
زوجته.

الشيء الثاني: شهر رمضان، وحين أمر النبي بالصوم فإذا
بملايين الناس يمتنعون شهراً كاملاً من الفجر حتى المغرب عن

(١) للمؤلف (مايكل هارت) ويتناول فيه أعظم مائة شخصية في التاريخ ويضع على

رأسهم النبي الأكرم محمد ﷺ.

الطيبات التي ألفوها.

إن هذا مثار لاستغراب شديد عند الغربيين أيضاً، لذا فإن حقائق وبراهين النبي الأعظم كانت تؤثر حتى في قلوب ألدّ الأعداء، ولذلك مع كل تلك الأجواء المضادة للنبي (صلى الله عليه وآله) الموجود في مكة كان النبي حاكماً للقلوب.

وحين كان النبي الأعظم ﷺ في المدينة، كان أهل مكة قد حفظوا كلماته في الظاهر بكل قوة، ولكن في الباطن كان كثير منهم قد نفذت كلماته في قلوبهم وآمنوا بها، ولكن الجو العام كان يمنعهم من أن يظهروا إيمانهم وولاءهم، فكان هنالك في الواقع رجال قد آمنوا في مكة، ونساء كنّ قد آمنّ كذلك، وفي الوقت الراهن يوجد كثير من الأفراد يؤمنون حتى الكبار منهم ولكن يخفون إيمانهم لأن الجو العام قد يضغط عليهم، فكانت لهم مثل هذه القوة وهذه القدرة.

﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَجَلُّهُ وَلَوْ أَنَّ رَجَالَ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءً مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطْثُوَهُمْ فِتْصِيَّتَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١).

إذن فالمجتمع المكي كان خليطاً من المؤمنين والكفار، وهؤلاء

الكفار يستحقون حلول النعمة الإلهية عليهم، ولكن ماذا يقول القرآن الكريم؟ يقول: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ فالجريمة الأولى هي الكفر بل هو أعظم جريمة، فمع أن الله تعالى أنعم علينا بوجودنا وكياننا وكل النعم الأخرى التي انعم بها علينا، لكن هنالك من يكفر فهل يجوز هذا؟ ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾^(١) فهو الجريمة الأولى، ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وهذه هي الجريمة الثانية: ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ﴾ أي منعوا المسلمين من أن يذهبوا إلى المسجد الحرام وهي الجريمة الثالثة.

إن هذه الجرائم تستحق حلول النعمة الإلهية عليهم، ولكن ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ﴾، حيث يوجد هنالك رجال مؤمنون ونساء مؤمنات في مكة، ولكن هؤلاء محتفون غير ظاهرين، إذ لا تسمح لهم الأجواء العامة بأن يظهروا إيمانهم، ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٍ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتُصِّبْكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وتعني المعرة: التبعية، فحين يفهم احدهم بأنه قتل أخاه المؤمن، يجب عليه أن يعطي الدية، فهم يشمتون بالمؤمنين فيقولون: إنكم قتلتم إخوانكم لأن القضايا ستتكشف في آخر المطاف.

(١) سورة لقمان: ١٣.

﴿لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ إن الشاهد في هذه الكلمة: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ فحين حصلت البينونة، وصار المؤمنون في مكان والكفار في مكان آخر، فحدث التزَيُّل أو البينونة والتفرق والتميُّز، حيث تنص الآية الكريمة: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، وهنالك رواية مذكورة ربما يظهر من معناها، أن هذه سنة إلهية عامة وليست قضية شخصية محدودة، إن هذا التفسير هو المعنى الظاهر لهذه الآية المباركة.

أصالة الرحمة الإلهية

وهنالك معنى باطن أشار إليه أهل البيت (صلوات الله عليهم) في الروايات الماثورة عنهم لا ينافي المعنى الظاهر وإنما يضيف إليه بعداً آخر، إما من حيث استخدام اللفظ الواحد في معنيين، أو من حيث باب البطون، فالكلمة لها ظاهر ولها بطن، وإنما يعرف البطون من خوطب بالقرآن الكريم، أو من باب أن هذه السنة الإلهية تعتمد على ملاك معين موجود في المعنى الآخر، ويعني: إن العلة الكامنة لها سبب كامن، فما هو السبب الكامن في هذه السنة الإلهية؟ هنا لا بد من التدقيق، فلا يمكن أن نعبر عن السبب الكامن بأصالة الرحمة الإلهية، فهذا الملاك هو أصالة الرحمة مثلما يوجد ذلك في مجتمع اختلط فيه المؤمن والكافر ومن يستحق العذاب ومن لا يستحقه أيضاً.

كذلك يوجد ملاك الرحمة في موضع آخر ومنطقة أخرى وهي إذا افترضنا أن هنالك من يستحق العذاب ومن لا يستحقه ولم يكونا متعاصرين في زمن معين، وإنما تفصل بينهما الأزمنة، أي يوجد بينهما فاصلٌ زمني، ولكن من يستحق العذاب كان واقعاً في سلسلة العلل الوجودية لمن لا يستحق العذاب، بمعنى أن الجد الأعلى كان يستحق العذاب ولكن يوجد في أصلايه البعيدة من لا يستحق العذاب، إذ ربما يوجد منهم رجل مؤمن، فهل تجري السنة الإلهية حتى إذا افترضنا أن ظاهر هذه الآية المباركة لا يشمل هذه الحالة؟ ولكن ملاك الآية المباركة يشمل هذه الحالة، فما هو ملاك الآية؟ إنه: (أصالة الرحمة)، حيث إنها موجودة في المقام بطريقة أولى، لأنه إذا كان العذاب كما في مثال أهل مكة ينزل على الجميع، فما الذي كان يحدث؟

إن الشيء الذي كان سيحدث، هو أن مجموعة من المؤمنين كانوا سيُقتلون ويُحرمون من نعمة محدودة مؤقتة، ولكن من جهة ثانية، إذا نزل العذاب فهذا يعني حرمان أولئك من نعمة الوجود المطلقة، إن العدم الجزئي موحش فكيف إذا كان عدماً كلياً، بمعنى أن حرمان الإنسان من نعمة البصر موحش، وحرمانه من نعمة السمع موحش أيضاً، أما العدم الكلي فهو يعني الفناء المحض أو الانعدام المطلق، ولا يمكن أن تُقارن وحشته بوحشة الانعدام

الجزئي.

فإنسان الذي يستحق أن يفيض الله سبحانه وتعالى عليه بنعمة الوجود بعد ألف عام لا يأخذه بذنب جده الأعلى، لأنه أستأصل بالعذاب الإلهي، ولا تتواصل هذه السلسلة حتى يصل الدور إلى ذلك الحفيد المنتظر، إن الله سبحانه وتعالى يبقى الجد ويبقي الأب، كرامةً لذلك الحفيد المنتظر بعد ألف عام، وهذا من مصاديق أصالة الرحمة الإلهية.

وتوجد في القرآن الكريم إشارة خفية إلى هذه المسألة في سورة نوح، وفي هذه الآية: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١) فماذا تعني هذه الآية؟ إنها تعني انتهاء الفائدة منهم جميعاً، فلا يوجد أمل ليس فيهم فحسب وإنما في أحفادهم وأولادهم أيضاً، يا الله دع العذاب ينزل عليهم، لنلاحظ الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(٢) إذن لقد انتهى الأمر، فلن يكون هنالك مؤمن في ذريتهم إلى الأبد.

هنالك رواية وردت في تفسير البرهان (المجلد رقم ٨ ص ١٣٣)

(١) سورة نوح: ٢٦-٢٧.

(٢) سورة نوح: ٢٦-٢٧.

عن صالح ابن ميثم^(١) : قلت للإمام الباقر أبي جعفر ﷺ : ما كان علم نوح ﷺ حين دعا على قومه أنهم لا يلدون إلا فاجراً كفّاراً؟ فقال الإمام الباقر ﷺ : «أما سمعت قول الله عز وجل لنوح كما جاء في سورة هود: ﴿وَأَوْحِيْ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ * وَاصْنَعِ الْفُلْكَ»^(٢)»،^(٣) هنا تأتي مقدمات العذاب، فليس هناك أمل.

ولعل هذه إشارة خفية لهذه السنة الإلهية في شكلها الثاني، أما الشكل الأول فيخص جماعة يجمعهم زمان واحد، إذن الشكل الثاني للسنة الإلهية يخص جماعة تفصل بينهم فاصلة زمنية ولكن بعضهم يقع في سلسلة العلل الوجودية للآخر، وهناك بعض الروايات في هذا المجال تصرّح بوضوح بهذه السنة الإلهية في شكلها الثاني، إحداها مذكورة في البحار (المجلد ٢٩ في ص ٢٢٨) ولكن في بعض الطباعات الأخرى مذكورة في (ص ٤٢٨)، تقول الرواية التي جاءت عن الكرخي، قال رجل لأبي عبد الله الصادق ﷺ: ألم يكن عليّ قوياً في بدنه، قوياً في أمر الله؟ - إذ إن أمير المؤمنين صلوات الله

(١) صالح بن ميثم التمار الأسدي الكوفي من أصحاب الإمام الباقر ﷺ والصادق ﷺ

كان من المدحوحين والمحبوبين عند أهل البيت ﷺ وهو من رواة كتاب كامل

الزيارات وتفسير القمي.

(٢) سورة هود: ٣٦-٣٧.

(٣) انظر (تفسير القمي): ج ٢ ص ٢٨٨ سورة نوح.

وسلامه عليه كان قوياً من الناحية البدنية والروحية أيضاً: «لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها»^(١) - فقال له ﷺ: «بلى، فسأله الرجل: فما منعه عندما تحركت الأحداث بعد شهادة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) من أن يقف ضد الخط الذي يختلف مع ما خط رسول الله ﷺ، مع أنه يستطيع أن يقوم بذلك؟

فأجابه الإمام ﷺ: «قد سألت فافهم الجواب»: هنالك آية من كتاب الله تعالى منعت علياً من ذلك، فقال الرجل: وأية آية؟ تقصد، لا توجد آية في القرآن بهذه الصورة، - إن النظرة العادية للقرآن الكريم تكون قاصرة، ولكن أهل البيت صلوات الله عليهم يستخرجون من بطونه ووفق النحو الذي شرحناه، فقد طرحنا ثلاث فرضيات، أما من باب استخدام اللفظ في معنيين، أو من باب البطون، أو من باب الملاك والعلة الكامنة - فقرأ له الإمام ﷺ: هذه الآية الكريمة من سورة الفتح: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، «لقد كان لله ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين ومنافقين»، فلم يكن عليّ ﷺ ليقتل الآباء، خوفاً على ما في أصلابهم، فإذا كانت قد حدثت معركة شديدة ألا يقتل فيها الآباء ضمن مجموعة من الرجال؟ فهناك عوامل كثيرة تغذي

(١) نهج البلاغة: ج ٣ ص ٧٣ من كتاب له ﷺ إلى عثمان بن حنيف والي البصرة يوحى على حضور وليمة دعي إليها.

المعركة، فالمشركون كأبي سفيان وغيره كانوا يغذّون هذه المعركة والروم كذلك، وإذا كان سيُقتل هؤلاء الآباء ضمن رجال المعركة ستنتهي الودائع التي أودعها الله سبحانه وتعالى في أصلاب أولئك الآباء، فإذا قُتل الأب سينتهي نسله إلى يوم القيامة.

فكل إنسان منا له خط من نسله يمتد من أبينا آدم عليه السلام حتى يصل إلينا، هذا الخط ممتد، فكل فرد يعتبر مُعدّاً للوجود اللاحق وهناك خط يبدأ منا بإذن الله تعالى ليتواصل في ذريتنا إلى يوم القيامة، فإذا حدث خلل في مكان ما من سلسلة النسل ستنتقطع كل هذه السلسلة، «فلما خرجت، ظهر على من ظهر وقتل».

لنفترض أن الأب خَلَف ولدا فإنه سيمثل الامتداد الوجودي له، هنا انتهت القضية وجاء الإذن الإلهي، «وكذلك مهدينا أهل البيت (باللفظ الآخر الذي يقام لأجله صلوات الله وسلامه عليه)»^(١) فإنه لن يظهر أبداً حتى يُخرج ودائع الله»^(٢).

(١) المراد هنا لفظ: (القائم عليه السلام).

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج ٢٩ ص ٤٢٨ ب ١٣ ح ١٣، عن كتاب تفسير القمي.

ودائع الله

ماذا نعني بذلك؟ لقد وصلنا إلى الجواب، إن الإمام المهدي (صلوات الله عليه) عندما يظهر ولم تكن هذه الودائع قد ظهرت أو خرجت من الأصلاب، فما الذي سيحدث؟ هنالك طريقان:

لقد قام الخط الأموي ضد الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، كما حصل في العراق، حيث لاحظنا ماذا فعل هذا الخط في هذا البلد؟ من عمليات الاغتيال والقتل الجماعي بالسيارات المفخخة والأحزمة الناسفة، وهنا أمام الإمام المهدي (صلوات الله عليه) طريقان:

الطريق الأول: أن يترك هؤلاء يفعلون ما يشاءون، وحينها ما الذي سيحدث؟ إن النظام الذي يهدف إليه الإمام لن يكون، فنظام الإمام (صلوات الله عليه) يجب أن يكون نظام العدل والإيمان والاستقرار والأمن، وإن وجود الخط الأموي وأمثاله يمنع تحقيق هذا الهدف الذي تحلم به البشرية.

الطريق الثاني: أن يدخل الإمام في معركة مع هذه العناصر المفسدة، ومع كل نظام وفي كل دولة، فعندما تعلن جماعة ما في بلد معين بتمرد، هل تقف الدولة مكتوفة الأيدي أمام هؤلاء؟ أو إذا هوجمت من قبل قوة خارجية هل تقف متفرجة؟ كلا، إنما ستدافع عن نفسها قطعاً، وهذا أمر طبيعي ومنطق مشروع في كل

العالم، فإذا قُتل هؤلاء الآباء، هذا يعني أن أولئك الأبناء الذين يتوقف وجودهم على وجود الآباء، سيحكم عليهم بالعدم والفناء، وإذا لابد أن يوقت الظهور بالنحو الذي لا يؤدي إلى الاصطدام بأحد هذين المحذورين .

وهناك مجموعة من الروايات أيضا تدور حول هذا الموضوع يمكن مراجعتها في (البحار: ج ٢٩ ص ٢٣٣ حديث رقم ٢٤ وحديث ٢٥ وحديث ٢٦)، وربما يدل على أن هذا الأمر هو سنة إلهية وليست قضية شخصية خاصة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: في قول الله عز وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾: «فلو أخرج الله ما في أصلاب المؤمنين من الكافرين وما في أصلاب الكافرين من المؤمنين لعذب الذين كفروا»^(١).

ثلاث حقائق في مفهوم التزليل

ويبدو أن هذه سنة إلهية عامة، وإن فكرة التزليل ترشدنا إلى ثلاث حقائق:

الحقيقة الأولى: أصالة الرحمة الإلهية وأن رحمة الله سبحانه وتعالى سبقت غضبه.

الحقيقة الثانية: وهي قضية اجتماعية مهمة تختلف عن

(١) بحار الأنوار: ج ٢٩ ص ٤٣٧ ب ١٣ ح ٢٦، عن كتاب كمال الدين وعلل الشرائع.

الحقيقة الأولى التي تعتبر قضية عقائدية أو عقدية، حيث لا يوجد هنالك تشابه حتمي بين الأب أو الجد مهما ابتعد الفاصل الزمني بينهما، فهل يُشترط بالابن أو الحفيد أن يكون على خطى أجداده وآبائه؟ كلا ليس هنالك حتمية أبداً، فالوراثة لا تمثل حتمية، والبيئة كذلك لا تمثل حتمية، فالفرد له الاختيار الكامل والحرية الكاملة.

الحقيقة الثالثة: وهي التي ترشدنا إليها فكرة التزليل الواردة في القرآن الكريم، حيث لا يوجد هنالك يأس إطلاقاً، فهل يمكن أن يتحول رجل يهودي إلى مسلم؟ هذه القضية هي إحدى الأشياء التي غفل عنها المسلمون، وهي دعوة اليهود إلى الإسلام، فهل يمكن لليهودي أن يُسلم؟ فربما لا يتحول هو إلى رجل مسلم، لكن قد يتحول ابنه أو حفيده إلى الإسلام.

للوالد^(١) (رحمه الله) كتاب بعنوان: (هؤلاء اليهود) ربما كتبه قبل أكثر من خمسة وأربعين عاماً، وما ورد في هذا الكتاب، هي دعوة اليهود إلى الإسلام، فاليهود بشر؛ فيهم المجرمون ولكنهم بشر، فكم أسلم من اليهود في عهد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)؟

جاء في حديث في (الكافي) أن عامة اليهود أسلموا على أثر

(١) المجدد الثاني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله مقامه).

تشرية من النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)^(١)، وفي حوار بحر العلوم (رحمة الله تعالى عليه) وهو مذكور في هامش (الفرائد)^(٢)، انه على أثر هذا الحوار أسلم مائة ألف يهودي، وإذا كانت هناك مبالغة في الرقم، لنفترض عشرة آلاف أو مائة أو شخص واحد، إذن فالتحول من اليهودية إلى الإسلام أمر ممكن.

(١) الكافي: ج ١ ص ٤٠٦ باب ما يجب من حق الإمام على الرعية وحق الرعية على الإمام عليه السلام، وفيه: عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن النبي صلى الله عليه وآله قال: أنا أولى بكل مؤمن من نفسه وعلي أولى به من بعدي»، فقيل له: ما معنى ذلك؟ فقال عليه السلام: «وقول النبي صلى الله عليه وآله من ترك ديناً أو ضياعاً فعليّ، ومن ترك مالا فلورثته، فالرجل ليست له على نفسه ولاية إذا لم يكن له مال، وليس له على عياله أمر ولا نهى إذا لم يجر عليهم النفقة والنبي وأمير المؤمنين عليه السلام ومن بعدهما ألزهم هذا، فمن هناك صاروا أولى بهم من أنفسهم، وما كان سبب إسلام عامة اليهود إلا من بعد هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله وأنهم آمنوا على أنفسهم وعلى عيالاتهم».

(٢) الهامش على عبارة الشيخ الأنصاري في كتابه (فرائد الأصول أو ما يعرف بالرسائل) وهو من أهم المتون الدراسية في الحوزات العلمية لمرحلة السطوح العليا، قال (رحمه الله): (فعلم مما ذكرنا أن ما يحكى: من تمسك بعض أهل الكتاب في مناظرة بعض الفضلاء السادة...) حيث قال المحقق تعليقاً على هذه العبارة: (هو السيد باقر القزويني .. وقيل .. وقيل .. وفي أوثق الوسائل (٥١٦): عن رسالة لبعض تلامذة العلامة بحر العلوم: إن المناظرة جرت بين السيد بحر العلوم وبين عامل يهودي حين سافر إلى زيارة أبي عبد الله عليه السلام في بلدة ذي الكفل، وكانت محل تجمع اليهود آنذاك). راجع (فرائد الأصول): ج ٣ ص ٢٦٠ ط. باقري - قم تحقيق وإعداد: لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم عليه السلام.

إذا لاحظنا التحولات التاريخية هل نستنتج بأن الغربيين قد يُسلمون يوماً؟ الجواب: نعم، إن البلاد الغربية يمكن أن تصبح كلها بلاد إسلامية في يوم ما وهذا هو الشيء الذي نخشى منه الصهيونية العالمية، يُقال: إن معظم أوروبا ستتحول بمحدود عام (٢٠٥٠) ميلادية إلى الإسلام، أو الطابع العام لها، وهذا الأمر هو ما نخشاه الصهيونية وتحرك ضده.

ونذكر هنا نماذج من التحولات التاريخية التي تعطينا الأمل في حدوث ذلك وتبين لنا أن تحول الغربيين إلى الإسلام ممكن.

كلنا نعرف الحجاج بن يوسف الثقفي هذا الرجل السفاح، حيث يُقال: لو جاءت كل أمة بطواغيتها وجئنا بالحجاج لرجع عليهم جميعاً^(١)، ومع ذلك فقد أبقى الله الحجاج، لماذا؟ لأنه يوجد من ذريته رجل موالي لأهل البيت (صلوات الله وسلامه عليهم)، قيل فيه: إنه كان رجل زمانه في المدح والولاء لأهل البيت، وهو شاعر ومعروف بـ(ابن الحجاج)^(٢)، وصاحب القصيدة المعروفة التي نقرأ منها:

(١) تاريخ مدينة دمشق: ج ١٢ ص ١٨٦: (قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم).

(٢) أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج النبلي البغدادي الثقفي المتوفى في ٢٧ جمادى الثانية سنة ٣٩١ هـ راجع ترجمته في كتاب الغدير: ج ٤ ص ٨٨-١٠٠.

يا صاحب القبة البيضاء في النجف

من زار قبرك واستشفى لديك شُفي
 هذا الشاعر هو حفيد الحجاج، وحين قارب أن يموت أوصى
 بأن يُدفن عند رجل الإمام الكاظم (صلوات الله عليه)، وأن يُكتب على
 قبره: ﴿وَكَلِّهْم بِأَسِطَ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾^(١)، هذا هو الرجل الذي
 كان جده سفاكاً لدماء شيعة أهل البيت، يقول: أنا كلب أهل
 البيت، وهو الآن مدفون عند رجل الإمام الكاظم (صلوات الله عليه).
 كان (السندي بن شاهك) كما يقول الخطباء رجلاً حقوداً
 جداً ومعروفاً بمواقفه ضد الإمام الكاظم (صلوات الله عليه)، أما حفيده
 فهو أحد الشعراء الموالين لأهل البيت، والمجاهدين في سبيلهم
 ويُعرف في التاريخ بكشاجم، لاحظ ترجمة كشاجم في الغدير^(٢).
 أما سعد بن عبد الملك، فقد سمّاه الإمام الباقر عجل الله فرجه به

(١) سورة الكهف: ١٨.

(٢) أبو الفتح محمود بن محمد بن الحسين بن سندي بن شاهك الرملي المعروف بكشاجم،
 المتوفى سنة ٣٦٠ هـ. انظر ترجمته في الغدير: ج ٤ ص ٢٣-٢٤ وفي ص ١٥ قال العلامة
 الأمين عجل الله فرجه: (وكان من مصاديق الآية الكريمة: (يخرج الحي من الميت) فإن نصب
 جده السندي ابن شاهك وعدائه لأهل البيت الطاهر وضغطه واضطهاد الإمام
 موسى بن جعفر صلوات الله عليه في سجن هارون مما سار به الركبان، وسوده به
 صحيفة تاريخه إلا أن حفيده هذا باينه في جميع نزعاته الشيطانية فهو من شعراء أهل
 البيت المجاهرين بولائهم المتعصبين لهم الذابين عنهم ولا بدع فإن الله هو الذي يخرج
 من بين الحصى وينبت الورد محتفا بالأشواك).

(سعد الخير)، وهو من الشجرة الملعونة، والشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية، إنه من أحفاد مروان.

جاء في (البحار: ج ٤٦ ص ٧٣٧):

إن سعد بن عبد الملك دخل على الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه)، فأخذ يبكي وينشج كما تنشج النساء، فسأله الإمام: «ما يبكيك يا سعد؟» قال: وكيف لا أبكي وأنا من الشجرة الملعونة في القرآن.

فقال له الإمام (عليه السلام): «أنت لست منهم، أنت أموي ولكنك من أهل البيت، أما سمعت قول الله عز وجل يحكي عن إبراهيم عليه السلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾»^(١)، إذن فأنت منا يا سعد الخير.

يذكر التأريخ بأن صلاح الدين الأيوبي مجرم، ليس بحق أهل البيت (عليهم السلام) فقط بل بحق الإسلام والعروبة والوطن، فأبي خيانات فعلها؟!!

وهو ما يؤكد تاريخه الذي يقول: بأنه قتل وسفك دماء كثيرة، كتب بعض المحققين كتباً تحقيقية في تأريخ صلاح الدين

(١) سورة إبراهيم: ٣٦.

(٢) انظر (بحار الأنوار): ج ٤٦ ص ٢٢٧-٢٢٨ ب ٨ ح ٢٥، عن كتاب الاختصاص للشيخ المفيد (عليه السلام).

الأيوبي ليس من باب الهجوم عليه بل من باب الواقعية التاريخية.
 لكن نلاحظ أن علياً، الابن المباشر لصلاح الدين الأيوبي
 كان من شيعة أهل البيت عليهم السلام ومن مواليتهم، فقد حكم دمشق
 بعد أبيه، وقال فيه ابن الأثير، كما جاء في كتاب (الأعلام: ج ٥ ص
 ٢٣):

(من محاسن الزمان أن علي بن صلاح الدين الأيوبي كان خيراً
 عادلاً فاضلاً حليماً كريماً لم يكن في الملوك مثله)^(١)
 وهنالك قصيدة^(٢) لعلي بن صلاح الدين يقول في آخر

(١) قال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: ج ١٢ ص ٤٢٨ - ٤٢٩: (في هذه السنة
 أي سنة ٦٢٢ هـ في صفر توفي الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب
 فجأة بقلعة سميساط وكان عمره نحو سبع وخمسين سنة .. وكان رحمه الله من
 محاسن الزمان لم يكن في الملوك مثله كان خيراً عادلاً فاضلاً حليماً كريماً، قل أن
 عاقب على ذنب ولم يمنع طالباً .. فاجتمع فيه من الفضائل والمناقب ما تفرق في كثير
 من الملوك، فلا جرم حُرِّم الملك والدنيا وعاداه الدهر، ومات بموته كل خلق جميل
 وفعل حميد فرحمه الله ورضي عنه).

(٢) ذكر جمع منهم الذهبي في كتابه (سير أعلام النبلاء): ج ٢١ ص ٢٩٥: قد كتب من
 نظمته إلى الخليفة الناصر، وفي الناصر تشيع:

مولاي إن أبا بكر وصاحبه	عثمان قد غصبا بالسيف حق علي
وهو الذي كان قد ولاء والده	عليهما واستقام الأمر حين ولي
فخالفاه وحللا عقد بيعته	والأمر بينهما والنص فيه جلبي
فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي	من الأواخر ما لاقني من الأول

فأجابه الخليفة الناصر:

بيت منها:

فانظر إلى حظ هذا الاسم كيف لقي

من الأواخر ما لاقى من الأول

ويذكر لنا التاريخ قضايا كثيرة في هذا المضمار، ويبقى الأمل

للعاملين في سبيل الله سبحانه وتعالى على التغيير.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

واقى كتابك يا ابن يوسف معلنا بالود يخبر أن أصلك طاهر
غصبوا عليا حقه إذ لم يكن بعد الرسول به بطيبة ناصر
فابشر فإن غدا عليه حسابهم واصبر، فناصرك الإمام الناصر

ملاحظة: المراد من أبي بكر وصاحبه عثمان في القطعة الشعرية للأفضل ابن صلاح الدين، هما: عمه وأخوه اللذان غصبا حقه وسلطانه.

التربية الإلهية

للإنسان

في عهد الغيبة

٦

يوجد هنالك مقطعٌ في دعاء
كميل الذي علّمه مولانا أمير المؤمنين
(صلوات الله وسلامه عليه) لكميل بن زياد
النخعي^(١)، جاء في مقطع من هذا
الدعاء: «... ولأبكين عليك بكاء
الفاقدين».

نلاحظ أن هذا المقطع والمقاطع
المتقدمة والمتأخرة من الدعاء، مصدره
بد(إن)، الشرطية ومن المعروف في علم
العربية أن (إن) الشرطية تفيد التعليق،
فمثلاً نقرأ في بداية هذه المقاطع:

نحن نعيش حالياً
(عهد الغيبة)، ويعني
عهد فقدان، فيقوم الله
سبحانه وتعالى بتربية
البشر وينمي فيهم
الكمالات النفسية
والفكرية والعملية
بالغيبة.
الفقيه الشيرازي

«لَإِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً لَأُضِجَنَّ إِلَيْكَ بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ
وَلَأُصْرَخَنَّ إِلَيْكَ صَرَاحَ الْمُسْتَصْرِخِينَ وَلَأُبْكِينَ عَلَيْكَ بَكَاءَ الْفَاقِدِينَ
وَلَأُنَادِيَنَّكَ أَيْنَ كُنْتَ يَا وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ»، ف (إِنْ) كَمَا يَبْدُو هُنَا تَفِيدُ
التعليق: «لَإِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً».

وهذا يعني: إنه من المحتمل ألا يترك أهل جهنم ولو في بعض
الحقب والفترات ناطقين، وجاء في بعض الكتب أن آخر كلمة
يقولها أهل جهنم وهم يخاطبون الله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ
عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(١)، فيقول الله تعالى لهم: ﴿قَالَ اخْسَوْوا فِيهَا
وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(٢)، ثم بعد ذلك يُخْتَمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَلَا يُسْمَعُ مِنْهُمْ
إِلَّا الشَّهيقَ وَالزَّفِيرَ وَالْعَوَاءَ، فَلَا يُفْهَمُونَ وَلَا يُفْهَمُونَ.

فُتَسَلَّبَ مِنْهُمْ النِّعْمَةُ الْكَبِيرَةُ لِلنُّطْقِ وَالْإِفْهَامِ وَالتَّفْهَمِ، فَلَا
يُفْهَمُ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَاذَا يَقُولُ لَهُ الْآخَرُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُفْهَمَ
الْآخَرِينَ أَيْضاً، وَلَعَلَّ (إِنْ) الشَّرْطِيَّةُ التَّعْلِيلِيَّةُ الْوَارِدَةُ فِي دَعَاءِ كَمِيلٍ
هِيَ بِمَثَابَةِ إِشَارَةٍ إِلَى هَذِهِ الْقَضِيَّةِ: «لَإِنْ تَرَكْتَنِي نَاطِقاً لَأُضِجَنَّ إِلَيْكَ
بَيْنَ أَهْلِهَا ضَجِيجَ الْآمِلِينَ وَلَأُصْرَخَنَّ إِلَيْكَ صَرَاحَ الْمُسْتَصْرِخِينَ،
وَلَأُبْكِينَ عَلَيْكَ بَكَاءَ الْفَاقِدِينَ»، فَمَا هُوَ بَكَاءُ الْفَاقِدِينَ؟

إِنْ بَكَاءُ الْفَاقِدِينَ يُمَثِّلُ مَظْهَرًا لثَلَاثَةِ أُمُورٍ تَكْتَفِي وَتَتَعَقَّبُ

(١) سورة المؤمنون: ١٠٧.

(٢) سورة المؤمنون: ١٠٨.

الفقدان، فعندما يفقد الإنسان شيئاً، ستعقب ذلك ثلاث حالات أو آثار هي: الأثر النفسي، والأثر الفكري، والأثر العملي.

الأثر الأول: الحالة النفسية

ما هي الحالة النفسية؟

لعله - ونكرر مفردة (لعله) - والله أعلم، فهو تعالى أعلم بمراده.

ربما يمكن أن يكون في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾^(١) إشارة إلى هذا المعنى، حيث هنالك فراغات في النفس البشرية تحتاج إلى ملء، فعندما يجد الإنسان ما يحتاجه سيملاً الفراغ ولكن عندما يفقد الإنسان ما ينبغي أن يجده سيشعر بفراغ.

نضرب مثالا واضحا لتقريب هذه الفكرة، فهناك فراغ في النفس البشرية يمكن أن نطلق عليه بفراغ الأبوة، فالأطفال الذين لهم آباء وأمّهات، يكون فراغ الأبوة والأمومة لديهم مملوءاً، تذكر بعض الكتب الجديدة: إن الطفل لا يكتفي بسماع صوت أمه، لنفترض أن هناك طفلاً في الأشهر الأولى وله من العمر ثمانية أشهر، فحين تناديه أمه وتناغيه وهي في المطبخ لا يكتفي بهذا الصوت بل يريد أن يراها وينظر إلى عينيها ووجهها.

(١) سورة القصص: ١٠.

إذن مثل هذا الفراغ يجب أن يُملأ، فالطفل اليتيم الذي فقد أباه أو أمه يوجد لديه فراغ نفسي كبير، لكننا لا نشعر بذلك، لا أدري إذا كنتم لاحظتم الأطفال الأيتام أم لا؟ ويُقال: إن هناك خمسة ملايين يتيم في العراق في الوقت الحاضر، ستشعر من نظرات الطفل اليتيم وحركاته بأنه يعاني من فراغ نفسي، تماماً مثل طفل عنده بيت فيشعر أن لديه ملجأ أمين يأوي إليه، وآخر ليس له بيت فيشعر أنه من دون ملجأ يحميه.

نذكر هنا هذه القضية - بين قوسين - يُنقل أن المرجع المعروف المرعشي النجفي (رحمه الله)^(١) كان ذاهباً في شبابه إلى الحمام ومعه أطفاله، فقال لأطفاله: لا تنادوني بالحمام: بابا، يا بابا.

فسألوه: لماذا؟

قال لهم: لأنه يوجد في الحمام مجموعة من الأطفال اليتامى، فإذا ناديتهموني كأب ستتحرك مشاعر الأبوة لديهم فيشعرون بالألم، فالأطفال الآخرون لديهم آباء وهؤلاء اليتامى لا آباء لهم.

أحياناً إذا سافر إنسان عزيز علينا سنشعر بوحشة في البيت وفي

(١) أبو المعالي السيد شهاب الدين بن محمود الحسيني المرعشي النجفي المولود سنة ١٣١٨ هـ والمتوفى سنة ١٤١١ هـ. كان من أكابر علماء قم ومراجعها، وهو صاحب المكتبة المعروفة باسمه التي تضم الآلف من الكتب والمخطوطات.

النفس، كأننا نفتقد شيئاً مهماً ولا نعرف ماذا نعمل؟ فلا نستطيع النوم ليلاً، فقد يبكي الإنسان على أثر هذا الشعور، «ولأبكين عليك بكاء الفاقدين»، لكن هنالك إنسان يفقد الله تعالى، إننا كم نتألم حين نفقد كمالاً محدوداً؟ فكيف إذا فقد الإنسان مصدر كل الكمالات؟

لعل هذا أشد عذاباً من أي شيء لأهل جهنم، حين يشعر الإنسان أن الله طرده بعيداً عن رحمته وعنايته، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾^(١).

فإذا امتعض الأب من ابنه يوماً ما على أثر قضية ما، ولم يعاتبه وجهاً لوجه ولم يكلفه بشيء ولم يكلمه أيضاً بل أخذ يكلف أخاه، فكم سيتألم ويتأثر هذا الابن؟ فإذا قال الأب لابنه: أنا لن انظر إليك ثانية، ويطرق رأسه ويغض بصره عن ابنه فكم سيسهر بالألم؟ كل ذلك مصاديق لحالة فقدان.

ويمكن أيضاً أن يكون الإنسان فاقداً لربه في هذه الدنيا، ونحن يجب أن نبكي في هذه الدنيا، فالذين يفقدون الله تعالى سيفقدون عنايته أيضاً.

(١) سورة المطففين: ١٥.

الأثر الثاني: الحالة الفكرية

وهو ما يحدث في منطقة الفكر، وهذا الأثر يعني بأن الإنسان لا يعرف قيمة الأشياء الموجودة لديه بل وربما لا يشعر بوجودها، بمعنى لا يشعر بوجوده لأنه متوفر لديه، هنالك مثال عجيب حول هذا الموضوع، يُقال لو أننا نعيش في ظلام دائم فلن نعرف قيمة النور ومراتبه، وربما لم نكن نشعر بوجوده، نحن نرى كل شيء، نرى الجدار والأفراد والأشياء، ونرى هذا الفراش، لكن أين النور؟! إننا نرى هذا الجدار وها أنا أرى جسدي، لكن أين النور؟ إنه غير موجود! فالنور الذي هو أوضح الأشياء وبه نرى كل الأشياء، لا نعرف بوجوده لأنه متوفر، وعندما يُفقد النور، سنشعر بوجوده وقيّمته.

الأثر الثالث: الحالة العملية

إن الإنسان يحاول بقدر الإمكان أن يصل إلى ما فقده، ويحاول أن يوفر مقومات ومقدمات الوصول إلى ذلك الكمال المفقود، إذا كان الأمر يحتاج لهذه المقومات، ومنها الشعور بالفراغ والشعور بقيمة الشيء المفقود وتعميق الرابطة النفسية والروحية، ثم السير لتحصيل الكمال المفقود.

وثمة مثال واضح حول هذا الموضوع ، وهو أبونا آدم (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) ، فلعل أبانا آدم عليه السلام وكما يبدو خُلِقَ للعالم ولم يُخلَقَ للجنة ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١) لا في الجنة ، فلعله كما يبدو من هذا الآية الكريمة ، أن آدم عليه السلام خُلِقَ للعالم ولم يُخلَقَ للجنة ، ولكنه عاش فترة في الجنة وعرف بركاتها وخيراتها ، ثم بعد ذلك خرج منها وفقد ذلك الكمال الذي تتصف به الجنة ، فماذا فعل آدم ؟ وبماذا أثر هذا فقدان ؟

إن الأثر النفسي الخارجي واضح ، فقد جاء في الأحاديث وبعضها مذكورة في (البحار) وأخرى في (معاني الأخبار) بخصوص رواية آدم عليه السلام ، عن الإمام الصادق (صلوات الله عليه) أنه : «طاف حول الكعبة مائة عام»^(٢) ، فمن أين جاءت تلك الطاقة ؟ إن من يعيش كمالاً ثم يفقده ، فسوف يدفعه الشوق إلى ذلك الكمال لمضاعفة العمل . تذكر بعض الروايات أن الفاصلة الزمنية بين أكل آدم عليه السلام من الشجرة وقبول الله تعالى توبته هي ثلاثمائة عام^(٣) ،

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) انظر (معاني الأخبار) : ص ٢٦٩ باب معنى قول جبرئيل عليه السلام لآدم

صلى الله عليه "حياك" ح ١ .

(٣) راجع (الأمالي ، للشيخ الصدوق) : ص ٢٦٧ المجلس ٣٥ ح ١ .

فكيف كانت حالة آدم عليه السلام في هذه الفترة؟ تقول هذه الرواية: «إنه طاف بالبيت مائة عام ولم ينظر خلالها في وجه حواء»^(١)، لأن الفرد حين يعيش حالة فقدان، فلن يفكر في الملذات المادية.

وجاء في حديث آخر في كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق عليه السلام باب الخمسة، «إن البكّائين خمسة وهم: آدم ويعقوب ويوسف والصديقة الكبرى فاطمة والإمام زين العابدين (صلوات الله عليهم أجمعين)».

وقد جاء في الحديث: «فأما آدم فبكى على الجنة»، ليس لكونها مظهرًا للنعم المادية فقط، وإنما لكونها مظهرًا للنعم المعنوية أيضاً، ولأنها دار كرامة الله تعالى ودار قرب إليه سبحانه، ولا تعني إخراج آدم من جنة النعيم فقط وإنما كان إخراجاً من جنة الرضوان أيضاً، ولعل البعد الثاني في القضية هو الذي كان يؤذي ويؤلم أبانا آدم أكثر، فيقول الحديث: «فأما آدم فبكى على الجنة حتى صار في خديه أمثال الأودية»^(٢)، والوادي هو: المنخفض بين جبال، ويبدو من هذا الحديث ظاهراً أن الدمع قد أثر في خده تأثيراً كبيراً، لأن

(١) جاء في نص الرواية: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ما ينظر إلى حواء ولقد بكى على الجنة حتى صار على خديه مثل النهرين العجابين - يقال: نهر عجاج أي لمانه صوت - العظيمين من الدموع...» انظر (بحار الأنوار): ج ١١ ص ١٧٥-١٧٦ ح ٢١.

(٢) الخصال: ص ٢٧٢ باب الخمسة ح ١٥.

الخد عضو رقيق جداً، وماء الدمع يحتوي على أملاح فيؤثر على الخد حين تجري فوقه.

وجاء في حديث آخر أن آدم عليه السلام بكى على الجنة أربعين صباحاً وهو في حالة السجود^(١).

إن هذا التوجه وهذه الحالة حدثت أثر فقدان، نحن أيضاً نركض وراء الجنة مع أننا لم نرها ولكننا سمعنا ببركاتها وخيراتها، فكما ركض آدم عليه السلام وراء جنة النعيم والرضوان، نحن أولاده أيضاً نركض وراء جنة النعيم وجنة الرضوان.

إن أحد العوامل المحتملة للغبية واستمرارها، هو سوق البشر نحو التكامل النفسي والفكري والعملي من خلال فقدان، إن الله سبحانه وتعالى هو الرب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فماذا تعني مفردة رب؟

إن من معاني الرب هي: المربي وهو المنمي من الإنماء، فالله تعالى هو رب العالمين، جمع عالم، فيوجد لدينا عالم النبات وعالم الجماد وعالم الحيوان، إن الله تعالى يربي النبات، وقبلها يربي البذرة وينمّيها بالعناصر الموجودة في التربة، وبالأصلاح والأشعة والحرارة، فهذه المجموعة من العوامل هي التي تساعد في

(١) انظر (مستدرك الوسائل): ج ٩ ص ٣٢٩ ب ٩ من أبواب مقدمات الطواف وما

ثموا الشجرة، ويقال: توجد في ظهر نواة التمر- إذا لاحظت ذلك - حفرة تطلع منها النخلة فتنمو لتصبح بهذا الحجم الكبير، ويعبر القرآن الكريم عن هذه الحفرة بالنقير^(١): ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾^(٢).

نحن البشر من العالمين أيضا، والله تعالى رب العالمين، فأحد عوامل تربيتنا وتكاملنا، هو التربية بالفقدان، فقد جاء النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) إلى البشرية ووضع لهم منهجا متكاملا، ثم عين من بعده أمير المؤمنين وأئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) لكي يكونوا القيمين على تطبيق هذا المنهج، لكن بعض البشر لم يعرفوا قيمة النبي الأعظم وقيمة أئمة أهل البيت، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾، حيث كان بعض الناس يأتون إلى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهو أشرف الأولين والآخرين ويرفعون صوته فوق صوته ﴿لَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾^(٣) فقد كان بعضهم ينام ويتمدد على بطنه أمام النبي ﷺ - كما في بعض الروايات التاريخية - ثم يقولون: حدثنا يا محمد!

وقد كان النبي ﷺ في فراش المرض وهم يقولون: إن

(١) النقير: نقرة على ظهر النواة، راجع (صحيح الجوهري): باب (نقر).

(٢) سورة النساء: ١٢٤.

(٣) سورة الحجرات: ٢.

الرجل ليهجر^(١) ! وهذا وارد هذا في صحيح البخاري ، أو أن النبي ﷺ غلب عليه الوجع^(٢) ، فلم يعرفوا قيمة أئمة أهل البيت (صلوات الله عليهم) الذين من الله بهم على البشرية وبالنبي الأعظم ﷺ ، لكن هنالك صفوة مُستثناة من الناس المؤمنين ، فلا شك في ذلك وهو أمر واضح ، ولكن الطابع العام ليس طابع معرفة الناس بقيمة النبي وأهل بيته فلقد قتلوهم وشرّدوهم :

بعض بطيية مدفون وبعضهم بكر بلاء وبعض بالغريين
وأرض طوس وسامراء وقد ضمنت بغداد بدريس^(٣)

(١) قال الجوهري : (الهجر أيضاً : الهذيان) ، وعن مجاهد وأبو عبيد وإبراهيم وابن قتيبة : (إن الهجر هو قول غير الحق واستشهدوا بقوله تعالى : ﴿إِنْ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ فقال بعضهم : ألم تر إلى المريض إذا تكلم بغير عقل ، قيل : إنه ليهجر) ، وقال الزجاج : (الهجر : ما لا يتفق به من القول).

(٢) جاء في صحيح البخاري : ج ٥ ص ٧٥ ، في إسناده الأول عن ابن عباس في القضية المعروفة : (قالوا : ما شأنه أهجر استفهموه) ، وفي ص ٧٦ : بسنده الآخر عنه أيضاً : (فقالوا : إن رسول الله يهجر) ، وفي نفس الصفحة بسند ثالث عنه : (فقال عمر : إن رسول الله قد غلب عليه الوجع).

(٣) من قصيدة المحدث العالم شاعر أهل البيت أبو الحسن علي بن حماد العدوي العبدي البصري ، المتوفى سنة ، وقد روي عن بعض الصادقين عليه السلام قوله : (تعلموا شعر العبدي فإنه على دين الله) ، وطلع قصيدته هذه التي يرثي فيها سيد الشهداء عليه السلام :

لله ما صنعت فينا يد البين كم من حشا أفرحت منا ومن عين

التربية بسوط الغيبة

نحن نعيش حالياً (عهد الغيبة)، ويعني عهد الفقدان، فيقوم الله سبحانه وتعالى بتربية البشر وينميّ فيهم الكمالات النفسية والفكرية والعملية بالغيبة، وبتعبير موجع بـ(سوط الغيبة)، وهي بحد ذاتها تُعد تربية، فنحن نشعر في الزمن الحالي بالفقدان، وهذا نوع من أنواع الأثر النفسي، في صبيحة يوم الجمعة يجتمع ملايين المؤمنين في شرق الدنيا وغربها عبر العصور المختلفة وقرؤون (دعاء الندبة)، وهذا يعني أنهم سيكون على فقدانهم لإمامهم، كما يفعل الأبناء حين يجتمعون ويكون على فقدانهم لأبيهم، اقرأ مقاطع من دعاء الندبة، مقاطع التوجع والتفجع والتألم، أتعلم كم ينمي مثل هذا العمل النفس البشرية؟ وكم يعمق الارتباط بإمام زماننا؟

إن قضية الارتباط ليست هيّنة بل مهمة جداً، فهناك مقياس للارتباط في الأمور المعنوية ومقياسها في الأمور المادية، فحين تكون جالسا في الغرفة فإن بركات الشمس ستشملك، فهي موجودة في كل مكان، ولكن عندما تقيمون علاقة مباشرة مع أشعة الشمس وتعرضون لها مباشرة، ستألون بركاتها في الجانب المادي، ومن العجائب الموجودة في الطب أن الأطباء ينصحون الإنسان بوجوب التعرض مباشرة للأشعة وأن لا يكون بينهما حاجز حتى لو كان من

وراء الزجاج، ومن العجائب أيضاً أنهم يقولون في الفقه بأن الشمس مطهرة شريطة أن تشرق على الشيء مباشرة. فالتعرض غير المباشر للشمس غير مطهر كما يقول الأطباء، أما التعرض المباشر فيختلف عن التعرض غير المباشر.

لذا عندما يرتبط الإنسان بإمام زمانه سيكون هذا الارتباط مهماً جداً، فأحد الأشياء التي يقولها بعض العلماء في السيدة رقية (صلوات الله عليها)، إن الله تعالى أعطاها مقاماً عظيماً، فكم مليون من الزوار زاروا السيدة رقية عليها السلام بنت الإمام الحسين عليه السلام من ألف عام حتى اليوم؟ لقد لاحظ كثيرون منا كيف يأتي الناس إلى مقامها كي يتقربوا إلى الله تعالى بحبها، ويجعلونها شفيعاً لهم إلى الله تعالى.

إن مرقد السيدة رقية ^(١) عليها السلام عظيم مع أنها كانت طفلة تبلغ من العمر بين ثلاثة أو أربع أعوام، وكانت للإمام الحسين (صلوات الله عليه) بنات متعدّدات، لكن رقية متميزة بينهن، ويرى بعض العلماء أن هذه المكانة جاءت على أثر علاقة رقية بإمام زمانها وهو سيد الشهداء، فينقل لنا الخطباء الكرام (حفظهم الله) عن هذه العلاقة ومظاهرها، سواء في حياة الإمام أو بعد موته عليه السلام، حيث كانت العلاقة مهمة جداً.

(١) هذا المرقد يقع في محلة العمارة بالقرب من مدينة دمشق.

كان هنالك رجلان أحدهما يملأ القلوب والأسماع حتى الآن، فيُذكر في البحوث العلمية وفي المنابر والكتب وهو السيد مهدي بحر العلوم^(١)، لكن لماذا يُذكر؟ إنه يذكر بسبب علاقته المعروفة بالإمام سيد الشهداء وبالإمام الحجة (صلوات الله عليهما)، وهنالك أخ لبحر العلوم وهو رجل عالم ومؤمن أيضاً وله مقامه وجلاله ولكن ربما لم يسمع كثيرون باسمه لأنه لم تُنقل عنه تلك العلاقة المهمة.

إن العلامة الأميني^(٢) (رحمة الله عليه) كان مجتهداً وله إجازة اجتهد كما ذكرت بعض الكتب من المحقق النائيني والسيد أبي الحسن الأصفهاني والشيخ عبد الكريم الحائري، فقد دفعه حبه لأهل البيت لأن يسخر نفسه لأهل البيت، ولأمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، لا بأس أن ننقل هذه القضية التي تخص هذا الموضوع: يُنقل أن اثنين من العلماء ذهبوا إلى عيادته في طهران حين كان يعاني من

(١) السيد محمد مهدي بن السيد مرتضى بن السيد محمد الحسن البروجردى المعروف ببحر العلوم الطباطبائي، ولد بـ كربلاء سنة ١١٥٥ هـ من كبار علماء الإمامية، درس فيها على كبار علماءها كالوحيد البهبهاني والشيخ يوسف البحراني ثم انتقل إلى النجف الأشرف وتوفي بالنجف سنة ١٢١٢ هـ.

(٢) العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني من فقهاء الإمامية والمؤرخين الأدباء ولد سنة ١٣٢٠ هـ وتوفي سنة ١٣٩٠ هـ ومن أهم مؤلفاته موسوعة الغدير التي لم يعمل مثلها في بابها، فلله دره وعليه أجره.

المرض الذي مات فيه ، وحين وصلا إليه كان نائما ، ثم حين دخلا إليه واطمأننا على صحته سأله أحدهما : هل تأذن لي أن أسألك عن مسألة علمية؟

فقال العلامة الأميني : حول أي شيء يدور سؤالك؟

فقال العالم : حول الصديقة الكبرى فاطمة (صلوات الله عليها) ، وكان العلامة الأميني مضطجعا لكن بمجرد أن سمع بهذا الاسم المبارك وإذا به يحاول النهوض من منامه ، فطلب منه العالم أن يظل راقداً كما هو ، لكنه رفض ذلك وقال : إن هذا يخالف الأدب أن تُذكر فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) وأبقى نائماً ، ثم حاول أن يجلس بصعوبة ، وجاء أحد أفراد عائلته وذكره قائلاً : شيخنا لقد منعك الأطباء من التحرك ، فالحركة لا تناسب وضعك الصحي.

لكنه قال : لا يمكن أن تُذكر الصديقة الزهراء وأنا نائم ، فهو خلاف الأدب ، ثم جلس بصعوبة وقال للعالم الزائر : ما هي مسألتك؟ فسأله العالم عن مصدر هذا الحديث : «ولولا فاطمة لما خلقتكما»^(١) ، فقال له : إن هذا الحديث موجود في (كذا...) كتاب من كتب العامة ، إذ ليس الخاصة فقط من رويوا هذا الحديث ، بل السُّنة أيضاً رويوه ، إذن هذا هو معنى الارتباط بأهل البيت.

(١) مستدرک سفینه البحار: ج ٣ ص ١٦٩ باب (خلق).

ألم الضقدان وروحية التكامل

لذلك فإن دعاء الندبة مهم جداً، فهو يعني ندبة الغائب والمفقود، فعندما يقرأ ملايين المسلمين في شرق الدنيا وغربها وعلى مرّ القرون في يوم الجمعة دعاء الندبة يستشعرون ألم الضقدان، ويتعمق الارتباط في نفوسهم، فعلى مرّ التأريخ يذهب مئات الألوف من الناس إلى مسجد السهلة ليحفظوا بلقاء الإمام الحجة (صلوات الله عليه)، حيث أن من يذهب إلى مسجد السهلة أربعين ليلة الأربعاء كما هو معروف سينال لقاء الإمام، فكم يعمّق هذا الفعل قضية الارتباط؟ وكم يربي هذا العمل روحية العلاقة بالإمام عليه السلام؟

إن ملايين الناس يواظبون على زيارة ليالي الأربعاء، وملايين منهم يأتون إلى (جمكران)^(١) على مرّ الأعوام، لأن هذا المسجد له نوع من الارتباط بالإمام الحجة (صلوات الله عليه)، فكل هذه المفردات تسوق البشر نحو التكامل، حيث يجب أن يتكامل البشر نفسياً لأنه يشعر بالألم، «اللهم إنا نشكو إليك فقد نبينا وغيبة

(١) مسجد يبعد عن مدينة قم المقدسة حوالي (٥) كم ويرجع تاريخ تأسيسه إلى

عام ٣٩٢ هـ بأمر من الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

ولينا^(١) فشكوانا هذه يولده فقدان، بمعنى أن أحدنا حين يشعر بألم فقدان سيشكو من ألمه فتبدأ النفس البشرية تتكامل نفسياً، ويشعر الإنسان بالألم وهو يعمق العلاقة فيبكي ويستمر في البكاء.

هنالك روايات كثيرة تؤكد على أهمية البكاء كما في (البحار)، وبالإمكان مراجعة (مستدرك سفينة البحار) حول بكاء المعصومين والأنبياء عليهم السلام^(٢)، حيث يوجد تأكيد كبير على البكاء لأنه يطهر النفس ويرفع من جوهرها، إن جمود العين وعدم البكاء من علامات شقاء الإنسان، كما جاء في الروايات.

في أول الأمر يحار الإنسان لأنه لا يفهم ألم فقدان، ولكن كلما اصطدم بالمشكلات الفكرية والعملية والعلمية للحياة أكثر، كلما شعر بمرارة فقدان حتى يصل إلى حالة التضرع، حيث تترك آثارها النفسية والفكرية، وسيشعر الإنسان بقيمة الإمام الغائب والآثار العملية لهذه الغيبة أيضاً، ﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٣)،

(١) مقطع من دعاء الافتتاح الخاص بشهر رمضان المبارك، راجع كتاب (مفاتيح الجنان) وكتاب (الدعاء والزيارة).

(٢) قال: الشيخ علي النمازي مؤلف مستدرك سفينة البحار في: ج ١ ص ٣٩٤ باب (بكى): (الروايات الدالة على فضل البكاء من خشية الله تعالى كثيرة لا تحصى نتبرك بذكر بعضها) وساق جملة من الروايات في أبواب منها: باب فضل البكاء وذم جمود العين، باب آدم، نوح، إبراهيم، ...).

(٣) سورة الروم: ٤١.

حيث يشعر الإنسان أنه محروم ويمكنه أن يُزيل هذا الحرمان، ولكن يحتاج إلى جهد، فالإنسان إذا شعر بأنه قد تطهّر فيمكن أن يصل إلى ذلك الفيض والكمال المطلوب، وكم من الأفراد حتى العاديين منهم تجدهم قمماً روحية، ناهيك عن العلماء الذين كان لديهم هذا التوجه فأصبحوا قمماً روحية أيضاً.

هنالك قضية معروفة في التاريخ لا أريد أن أفصلها، وهي أن (علي بن مهزيار)^(١) كان يفكر بأن يلتقي بالإمام الحجة (عجل الله فرجه)، فهذا الإنسان كان يفكر بأن يبدل الغيبة إلى حضور، فكم سيحتاج إلى جهد، لأنه ليس ظاهراً وإنما باطن، فالإمام لا ينظر إلى الظاهر وإنما ينظر إلى الباطن، فكم يحتاج الإنسان إلى تطهير باطني لكي يصل إلى هذه الدرجة، فيذهب علي بن مهزيار إلى الحج - يمكن مراجعة تفاصيل هذه القضية في كتاب (كمال الدين)^(٢) للشيخ

(١) علي بن إبراهيم بن مهزيار والمعروف: بعلي بن مهزيار نسبة إلى الجد وعلي هذا هو ابن أخ علي بن مهزيار المشهور وهو أبو الحسن الثقة الجليل الذي كان من أصحاب الرضا والجواد والهادي عليهم السلام وكان من خواصهم ووكلائهم المقربين، وأما والده إبراهيم بن مهزيار أبو إسحاق فكان من أصحاب أبي جعفر وأبي الحسن عليهما السلام ووردت بعض الروايات أنه بقي إلى زمن الحجة وكان من وكلائه، وله ابن آخر اسمه محمد بن إبراهيم وكان من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام وكان وكيلاً لصاحب الأمر عليه السلام.

(٢) رواها الشيخ الصدوق في كمال الدين: ص ٤٦٥-٤٧٠ ب ٤٣ ح ٢٣، عن علي بن إبراهيم بن مهزيار.

الصدوق عليه السلام - لكي يلتقي بالإمام عليه السلام، وهذا أمل كثير من العلماء والمؤمنين وكثير منهم وفقوا لذلك، إن بحث اللقاء بالإمام عليه السلام بحث مستقل، وقد نالت كثيرا منهم عناية الإمام، أما نحن فكثير منا محرومون لأننا لا نمتلك القابلية المطلوبة.

فكم يحتاج علي بن مهزيار الذي كان يفكر في لقاء الإمام عليه السلام إلى مواظبة ومراقبة في علم الأخلاق وباب المراقبات وكم يحتاج من جهد ليظهر نفسه؟ فقد ذهب إلى الحج في العام الأول والثاني حتى تكرر حجه تسعة عشر عاما، ثم بعد ذلك في العام العشرين نال توفيق اللقاء بالإمام عليه السلام ^(١)، فحين نرى امتلاك أتباع أهل البيت (صلوات الله عليهم) لهذه القمم الروحية الأخلاقية، فلأنهم يمتلكون هذا التوجه.

إذن؛ يمكن تلخيص العامل السابع من عوامل الغيبة، بأن الغيبة تمثل مفردة من مفردات سوق البشر إلى التكامل فكرياً ونفسياً وعملياً، وهي مظهر من مظاهر التربية الإلهية للإنسان، وإن أحد النماذج التاريخية الموجودة في هذا الجانب هو أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فقد أعرض الناس عن أمير المؤمنين بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) ولكن لمسوا الواقع وأدركوا مرارته، فحين ذهب الإمام عليه السلام إلى الصحراء واشتغل بغرس النخيل، كان سبب ذلك

(١) انظر (كتاب الغيبة، للشيخ الطوسي): ص ٢٦٣-٢٦٧ الفصل ٢ ح ٢٢٨.

كما جاء في نهج البلاغة على ما أتذكر، أن الإمام (صلوات الله عليه) قال: «لا يريدني فلان إلا أن أكون كالجمل الناضح، فيقول لي: أقبل فأقبل وأدبر فأدبر»^(١).

لقد أبعدوا الإمام (عليه السلام)، وقد لاحظ الناس نتائج إبعاد الإمام وغيبته، ولذلك انهال الناس بعد قتل عثمان على أمير المؤمنين، فقال الإمام (صلوات الله عليه): «فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إليّ» لأن عرف الضبع يحتوي على شعر كثيف «يثالون عليّ من كل جانب. حتى لقد وطئ الحسنان» الحسنان هما الإبهامان، فداسوا قدم أمير المؤمنين صلوات الله عليه من شدة زحامهم، «وشقّ عطفائي» أي شقّ رداء الإمام (عليه السلام) بسبب زحام الناس، «مجمّعين حولي»^(٢)، إذن فقد ربّت هذه الغيبة الناس وجعلتهم يشعرون بقيمة الإمام الغائب، وإننا أيضاً يمكن أن نتخذ من الغيبة وسيلة من وسائل تربية أنفسنا نفسياً وفكرياً وعملياً.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) انظر (نهج البلاغة): ج ٢ ص ٢٣٣. من كلام له (عليه السلام) قاله لابن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع... وفيه: «يا ابن عباس، ما يريد عثمان إلا أن يجعلني جملاً ناضحاً بالغرب - بالفتح ثم السكون الدلو العظيمة - أقبل وأدبر، بعث إليّ أن أخرج، ثم بعث إليّ أن أقدم، ثم هو الآن يبعث إليّ أن أخرج...».

(٢) نهج البلاغة: ج ١ ص ٣٥، مقطع من الخطبة الشفقية.

نبذة عن حياة الفقيه المقدس

هو الفقيه المقدس آية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته) وُلد في كربلاء المقدسة سنة ١٣٧٩ هجرية، النجل الأكبر للمرجع الديني الراحل المجدد الثاني آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (أعلى الله درجاته). نشأ وترعرع بجوار أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام فتعلم منه درس الولاء والتضحية والفداء في سبيل الله عز وجل.

❖ بدأ دراسته الأولية في مدرسة حَقَّاق القرآن الكريم ثم التحق بالحوزة العلمية في كربلاء المقدسة حيث درس مقدمات العلوم الدينية لدى أساتذتها الكبار. وهاجر بصحبة والده إلى الكويت وذلك بعد الضغوط الكبيرة التي لاقتها أسرة الإمام الشيرازي من قبل طغاة البعثيين في العراق.

❖ كان من أساطين الأساتذة في حوزة قم المقدسة حيث بدأ بتدريس المقدمات والسطوح العالية ومن عام ١٤٠٨ هـ شرع بتدريس بحث خارج الفقه والأصول على فضلاء الحوزة وكان مستمراً في تدريسه وعطاءه العلمي حتى وافته المنية.

❖ كان رحمته الله قمة في الأخلاق والتواضع والبسمة على وجهه

لماذا الغيبة ؟

وحزنه في قلبه كما ورد في صفات المؤمنين ، تربى في مدرسته العلمية عدد كبير من التلامذة الفضلاء وهم اليوم من المدرسين في الحوزات العلمية في مختلف أرجاء العالم.

❖ ترك محاضرات علمية وأخلاقية عديدة تبث عبر عدد من القنوات الفضائية الدينية ، كان لها الأثر الكبير في تحقيق الاستقرار والإصلاح والتسامح في كثير من الأسر والمجتمعات.

❖ كما ترك كتباً علمية قيمة نال عنها عدة إجازات في الاجتهاد.

❖ وقد تم مؤخراً استحداث مؤسسة ثقافية حملت اسم الفقيه الراحل وهي (مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية) وتعنى بالثقافة ونشر فكر أهل البيت عليهم السلام في عموم أرجاء العالم وبدأت مشروعها الثقافي بتوثيق جميع محاضرات السيد (أعلى الله درجاته) وذلك من خلال تحويل مضايمينها الصوتية إلى كتب تضم محاضراته القيمة.

❖ توفي ﷺ في ظروف غامضة ، صبيحة يوم الأحد ٢٦ جمادى الأولى من سنة ١٤٢٩ هجرية الموافق ٢٠٠٨/٦/١م في قم المقدسة ، ونقل جثمانه الطاهر إلى العراق ودُفن في الصحن الحسيني الشريف.

تعريف بمؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

❖ تهتم المؤسسة بدراسة ونشر الفكر الإسلامي المعاصر من خلال القرآن الكريم وسنة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام)، ومن خلال نشر أفكار ورؤى الفقيه المقدس آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (أعلى الله درجاته).

تهدف المؤسسة إلى :

- دراسة العقائد الإسلامية وفق منهج أهل البيت عليهم السلام والعمل على تحليل وحل الإشكالات والشبهات وفق منهجية علمية وموضوعية.

- استشراف أفكار ورؤى آية الله الفقيه السيد محمد رضا الشيرازي (أعلى الله درجاته) من خلال ما تركه للبشرية من ثروة معرفية وعلمية كبيرة متمثلة في آرائه ونظرياته وطروحاته الفكرية التي تناولت الكثير من مفاصل الحياة وخصوصاً في الجوانب العقائدية والاجتماعية والأخلاقية.

- تحرير وتحقيق وإعداد المحاضرات التي ألقاها الفقيه المقدس

آية الله السيد محمد رضا الشيرازي (أعلى الله درجاته).

- إعداد دراسات وبحوث في مجال الفكر الإسلامي عامة،

ضمن أفكار ورؤى الفقيه المقدس الشيرازي رحمته الله.

توصيات مرجعية

مقتبسات من رؤى المرجع الديني آية الله العظمى
السيد صادق الحسيني الشيرازي رحمته الله

❖ إن من أبسط وأقل ما يمكن القيام به لخدمة الإمام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف هو أن يخصص كل واحد منكم مقدراً من المال يطبع فيه كتاباً عنه عليه السلام، ولا يشترط أن يكون الكتاب ضخماً بل كل حسب سعته.

❖ إن اقتران ميلاد سيدنا ومولانا ببقية الله في الأرض الإمام المهدي المنتظر (صلوات الله عليه وعجل الله فرجه) مع النصف من شهر شعبان المعظم، الذي جعل الله تعالى في ليلته تقسيم الأرزاق وتثبيت الآجال لعباده، ثم تأكيد الأئمة الأطهار عليهم السلام على زيارة الإمام الحسين عليه السلام في هذه المناسبة العظيمة وبهذا التعبير: «من أحب أن يضافحه مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي فليزر قبر الحسين عليه السلام في النصف من شعبان، فإن أرواح النبيين تستأذن الله في زيارته، فيؤذن لهم». هذا الاقتران ليس صدفة، والجامع المشترك بينها هو (تقرير المصير) فليلة النصف من شعبان ليلة تقرير الآجال والأرزاق، ونهضة الإمام الحسين عليه السلام قررت مصير الأمة الإسلامية وأنقذتها من السقوط في مهاوي التحريف والضلال، والإمام المهدي عليه السلام سيقدر مصير البشرية بظهوره الشريف.

تعريف بمؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

❖ من مسؤولية الآباء العراقيين حفظ أبنائهم وتوعيتهم ، وإنقاذهم من المخاطر الداهمة ، في ظلّ انخفاض معدلات الزواج ، وفي ظلّ السهام القاتلة التي ترميها الفضائيات في كلّ لحظة نحو أدمغة الشباب وغرائزهم ، فاللازم على الجميع خاصة ذوي المناصب الاجتماعية والروحية أن يبذلوا قصارى جهودهم لملء الفراغ وبالطرق الصحيحة والمجدية ، ليجد الشاب العراقي البريء بديلاً عن كل المساوئ والتفاهات ، وليكون عامل بناء لمستقبل العراق ، بدلاً من أن يتحول إلى وسيلة هدم وتخريب .

❖ العراق بلد أمير المؤمنين والإمام الحسين عليه السلام وهو مقبل على مستقبل مشرق لهذا الشعب المظلوم والمجاهد الصابر . فيلزم على جميع قطاعات الشعب العراقي الكريم التكاتف في سبيل استتباب الأمن - الكامل والشامل - الذي هو من أهمّ المقدمات لبناء العراق على شتى الأصعدة بالشكل المطلوب ، والاهتمام بالحوزات العلمية والجامعات الأكاديمية ، التي تشكل القاعدة المهمة لثقافة الأمة .

❖ إنّ الكتل والأحزاب والهيئات الموجودة اليوم ، يجب أن توظّف في عملية البناء لا عملية الهدم ، كما رأينا ذلك في ظلّ حكومة رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما .

❖ عراق اليوم والمستقبل يحتاج إلى الملايين من الكتب والمجلات الدينية ، وإلى المدارس والحوزات العلمية ، وإلى الخطباء والمرّبين ، كما هي حاجة العراق إلى ألوف المستشفيات والمراكز الصحية

لماذا الغيبة ؟

والاجتماعية والتعليمية والتثقيفية وغير ذلك .. وهذا يلزمنا ويدفعنا إلى الإمساك بزمام المبادرة، والعمل بالمستوى من المسؤولية إزاء أسرنا وأبنائنا، لضمان مستقبل العراق.

❖ على السياسيين الترفع عن النزاع على المناصب وتقديم مصلحة الجماهير المؤمنة على كل شيء.

❖ على كل زائر وزائرة أن يستلهم من حياة الإمام الحسين عليه السلام المزيد مما كان عليه الإمام سيرة وعطاءً، فيتعلم الإخلاص في العمل، والاجتهاد والنشاط في سبيل الله، والأخلاق الفاضلة، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام مثلاً أعلى في الأخلاق الفاضلة مع الكبير والصغير، والصديق والعدو، والمؤمن والمنافق. فعلى السائرين على خطاه عليه السلام أن يتحلوا بالأخلاق النبيلة، من التعايش بالمدارة والسلم، والتعاون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، وجمع الكلمة، والصدق والأمانة، والحلم والإيثار والمواساة، والوفاء وغيرها.

❖ إن رجوع المسلمين إلى العمل بالقران الكريم كله وبالأخص المتناسى من آياته ! كآية الشورى والأخوة والأمة الواحدة والعلم والتقوى وغيرها، كفيل بحل مشاكلهم وتجديد عزهم.

❖ حذار حذار من التشكيك في قضايا الحسين عليه السلام وشعائره، فكما أن الأجر والمقام والأمل والثواب عظيم لمن يقف في صف الحسين عليه السلام وشعائره، فكذلك العقاب عظيم لمن يشكك فيها أو

تعريف بمؤسسة الفقيه الشيرازي الثقاتية

يعرقل إجراءها. واعلموا أن ما يجري في السماوات من تعظيم هذه الشعائر لهو أعظم بكثير مما يجري في الأرض في بلاد الشيعة وغيرهم.

❖ علينا أن نعلم بأن كل حسينية هي بيت من بيوت الإمام سيد الشهداء عليه السلام، فلنحاول تجنب هذه الحسينيات من أن تتحول إلى مسرح لطرح الخلافات والنزاعات، بل على العكس، لنجعل منها أماكن للاجتماعات والوحدة والوئام.

❖ يمكنكم أن تضيفوا مصباح الإمام الحسين عليه السلام في بيوتكم، وذلك من خلال إقامة مجلس العزاء الحسيني في البيت. ولهذا العمل بركات دنيوية جليلة، تسبق بركاته الأخروية.

❖ لقد أراد الإمام الحسين عليه السلام أن ينجي العباد - كل العباد - من الجهل والضلال والتهيه، لذلك إذا أردنا أن نتقرب منه عليه السلام أكثر علينا أن نبذل كل ما نملك في خدمة هداية الناس إلى راية الحسين عليه السلام.

❖ إن الإمام الحسين عليه السلام استشهد من أجل: أصول الدين، والأحكام الشرعية، والأخلاق الإسلامية. فمن أراد أن يكون على ولائه لسيد الشهداء عليه السلام وأهدافه السامية، عليه أن يسعى في الحفاظ على هذه الأهداف الثلاثة التي استشهد من أجلها الإمام عليه السلام وأن يضعها على رأس أولوياته.

الفهرس

المقدمة ٣

❖ الأول :

الأسباب الكامنة وراء غيبة الإمام المنتظر عليه السلام ١١

الغيبة ظاهرة عامة ١١

سبب الغيبة ١٣

❖ الإجابة الأولى ١٣

العقيدة أولاً ١٧

❖ الإجابة الثانية ٢٠

إشكال وجواب ٢٦

علة الخوف ٢٨

❖ الثاني :

أهمية نجاح الإنسان في التعامل مع قضية الإمام المهدي عليه السلام ٣٥

❖ الإجابة الثالثة ٣٧

امتحان الأمة بغياب القائد ٣٧

غياب موسى عليه السلام وفتنة السامري ٤٣

امتحان الأمة بغياب الإمام المهدي عليه السلام ٤٦

فلسفة البطون والغيبة ٤٨

امتحان الغيبة يظهر الكوامن ٥٧

❖ الثالث :

- ٥٩.....عوامل نجاح غيبة الإمام المنتظر عليه السلام
- ٦٠.....❖ الإجابة الرابعة
- ٦٣.....وهناك قاعدتان للفرض
- ٦٦.....كيف تنهياً الأجواء العامة؟
- ٧٠.....على صعيد الأمة
- ٧٣.....فشل النظام العالمي

❖ الرابع :

- ٨٣.....تفسير ظاهرة غيبة الإمام المهدي عليه السلام
- ٨٤.....النوع الأول : رجال مرحلة التكوين
- ٨٦.....النوع الأول : رجال مرحلة البناء ..
- ٨٧.....حركة غيبية أم حركة طبيعية؟
- ٩١.....تحقيق حلم دولة العدل والحق
- ٩٥.....لماذا أذكر هذا الكلام؟
- ٩٩.....رجال لا ينامون الليل
- ١٠٣.....التسليم المحض والتطهير التام

❖ الخامس :

- ١١١.....عوامل غيبة الإمام المنتظر عليه السلام
- ١١١.....مفهوم التنزيل

لماذا الغيبة؟

- ١١٢..... التنزيل في اللغة
١١٦..... أصالة الرحمة الإلهية
١٢١..... ودائع الله
١٢٣..... ثلاث حقائق في مفهوم التنزيل

❖ السادس:

- ١٣١..... التربية الإلهية للإنسان
١٣٣..... الأثر الأول : الحالة النفسية
١٣٦..... الأثر الثاني : الحالة الفكرية
١٣٦..... الأثر الثالث : الحالة العملية
١٤٢..... التربية بسوط الغيبة
١٤٥..... ألم فقدان وروحية التكامل



- ١٥١..... نبذة عن حياة الفقيه المقدس **مُؤَدَّب**
١٥٣..... تعريف بـ مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية
١٥٤..... توصيات مرجعية



- ١٥٨..... الفهرس

لماذا الغيبة ؟

العنوان البريدي في لبنان

بيروت - الغبيري - ص. ب ١٣٨ / ٢٥

تلفاكس : ٠٠٩٦١١٢٧٣٩١٣

البريد الإلكتروني : info@daralathr.com

الموقع في الانترنت : www.daralathr.com

مركز التوزيع والنشر في لبنان : دار الأثر

مركز التوزيع والنشر في كربلاء : دار الأثر ٠٠٩٦٤٧٨١١٢٧٣٠٩٧

مركز التوزيع والنشر في إيران : ٠٠٩٨٩١٢٧٥٧٠٠٣٥ - ٠٠٩٨٩١٢٧٤٧٦٤٣٣

مؤسسة الفقيه الشيرازي الثقافية

تعنى بأفكار ورؤى الفقيه المقدس

آية الله السيد محمد رضا الحسيني الشيرازي

(أهلى الله درجاته)

كافة الحقوق محفوظة ومسجلة للنشر

الطبعة الثانية

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

حارة حريك شارع دكاش - بناية شحرور - لبنان بيروت

المكتب : ٠٠٩٦١٣٦٥٤٤٩٢ - ٠٠٩٦١٣٥٧٩٧٠٣

المستودع : ٠٠٩٦١٧٠٥٩٠٣

دار الأثر
للطباعة والنشر والتوزيع
ش.م.م. مطبوعات الأمين